مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

١٦

العوضي الوكيل
(١٩١٥ - ١٩٨٣)

عرفت هؤلاء

اعتنى به
فهد بن محمد بن نايف الدبوس












دار البشائر الإسلامية

١٦

عرفت هؤلاء

العوضي الوكيل

(١٩١٥ - ١٩٨٣)

اعتنى به
فهد بن محمد بن نايف الدبوس

دار البشائر الإسلامية

عرفت هؤلاء

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

ISBN 978-614-437-034-6
9 786144 370346

مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي
للمراسلة: الكويت - حولي - ص.ب: ٦٠٠٥ حولي
Email: fahad_aldabbos@hotmail.com

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الجليل

واهدنا إلى سواء السبيل

الإهــداء

إلى والدتي حفظها الله تعالىٰ

وأخي الكبير رحمه الله تعالىٰ

وإلى أخي وأختي

وابنتي حفظهم الله تعالىٰ

وإلى جميع الأعزاء....

شكر خاص

الأستاذ الدكتور المؤرخ الشاعر يعقوب بن يوسف الغنيم الذي تفضَّل بإعطائي هذا الكتاب لإخراجه إلى النُّور بإذن الله تعالىٰ.

والأستاذة الدكتورة شفق العوضي الوكيل التي لم تبخل عليَّ بالمعلومات عن والدها رحمه الله تعالى.

وأخي الشاعر الأديب عبدالله بن عبدالعزيز بن علي الجَسَّار.

وأخي الشاعر الأديب البحاثة محمد بن سعود الحمد الذي كان صلة الوصل بيني وبين الدكتورة شفق.

فلهم من الشكر أجزله
ومن الثناء أعطره.

كلمة الأستاذ الدكتور الشاعر الأديب المخضرم
يعقوب يوسف الغنيم

تكرَّم أخي الأستاذ الأديب فهد بن محمد بن نايف الدَّبُّوس حفظه الله فقدَّم إليَّ عمله الجديد هذا طالباً مني أن أنظر فيه، وأكتب عنه كلمة ملائمة.. وأنا إذ أشكر للأخ الكريم ثقته بي، فإنني سوف أحاول أن أكون عند حسن ظنه.

يقوم العمل على تحقيق كتاب الأديب الشهير المرحوم العوضي الوكيل الذي جاء عنوانه كما يلي: «**عرفت هؤلاء**» وهو كتاب مهم من حيث أنه يضم معلومات كثيرة عن عدد من الأشخاص عرفهم الكاتب خلال حياته فكتب عنهم مُعَرِّفاً، ومبيناً بعض الأمور التي تخفى على كثير من القُرّاء الذين ينتظرون – دائماً –

إنتاجه لكي يطّلعوا على ما فيه من جديد يثري معلوماتهم، ويقدّم لهم ما يحتاجون إليه من معرفة بكافة نواحي الأدب والأدباء.

ولقد بذل الأخ فهد الدَّبُّوس جُهداً كبيراً في سبيل إعداد هذا الكتاب للطبع، ونَسَّقَه ووضع له حواشي كثيرة أفادت كثيراً في تقريب المعاني التي كان المؤلف يهدف إليها عندما ألَّف كتابه.

وإذا كانت لي من كلمة في نهاية ما أكتبه هنا، فإنني أرجو أن يعرف الأخ الكريم أنني لا أستحق الشكر على ما قمت به عندما قدَّمت إليه أصل الكتاب، فأنا أعتبر ذلك واجباً عليَّ، وبخاصة أنني أرى في هذا الشاب النشط مخايل الذكاء والرغبة في التزوّد من العلم، ومثلي ينبغي أن يقف مع مثله في الأمور التي جمعت بيننا ألا وهي عشق التراث العربي والأدب المرتبط به، وسوف يسعدني دائماً أن أكون مُقَدِّماً لكل ما بين يدي من أصول

أو معلومـات أو أفكـار فـي سـبيل أن ينتفـع أبنـاء الأمـة بتراث آبائها الأوائل أو أدبائها المعاصرين، وأكـرر أن مـا قام به الأستاذ فهد الدَّبُّوس إنـما هو جهد جدير بالتقـدير، وَحَرِيٌّ بأن يُقَدَّمَ له كل الدعـم من أجله، والله الموفق.

د. يعقوب يوسف الغنيم

كلمة الأستاذة الدكتورة المهندسة
شفق العوضي الوكيل

اليوم الحادي عشر من أبريل ٢٠١٣ وصلتني النسخة المسوّدة النهائية لكتاب والدي الأستاذ العوضي الوكيل رحمه الله بعنوان «**عرفت هؤلاء**» من الأستاذ فهد الدَّبُّوس الذي تكرَّم بتحقيقه ونشره، وذلك لكي أكتب مقدمة للكتاب تُلْقِي الضَّوء بِشَكل أقرب على شخصية والدي. وقد أسعدني هذا كثيراً حيث تصادف أن يكون هذا اليوم هو ذكرى ميلاد والدي، الأمر الذي اعتبرته فرصة منحها الله سبحانه وتعالى لي لكي أقدم هدية متواضعة لوالدي بعد ثلاثين عاماً من وفاته.

ثلاثون عاماً مرّت على وفاته... وما زال نهر العطاء يتدفَّق، ما زال يحقق قول الرسول الكريم عليه أفضل

الصلاة والسلام: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَ: صَدَقَةٍ جَارِيَة، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٌ يَدْعُو لَه**».

فأما من حيث صلاح الأبناء، فلا يسعني الحكم على ذلك... إلا أننا - لا نلبث أن نتذكره وندعو له بالرحمة وبالجنة، نتذكر حنوه وشدته، نتذكر كرمه وعطاءه للبعيد قبل القريب، نتذكر موسوعية معرفته وشدّة ذكائه الذي أهله، لأن يكون مسؤولاً عن ترتيب الوظائف ومراجعة الميزانية لمصر كلها عندما كان نائباً لرئيس الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة على الرغم من أن دراسته كانت بكلية دار العلوم جامعة القاهرة تخصص اللغة العربية، نتذكر خفّة ظلّه وجَمَال شِعْره عندما كان يجمعنا حوله ونحن صغار ليقرأ لنا من الأدب والشعر والقصص والنوادر، إيماناً منه بضرورة الثقافة واتساع الأفق كشرط لنجاح الإنسان.

وأما عن الصدقة الجارية، فهي مكتبته العامرة الزاخرة

التي قضى عمره يجمعها من كل بستان زهرة، وقمنا بإهدائها إلى كلية دار العلوم، حيث تَلَقَّىٰ العِلْم، بغرض أن تسهم ولو بقدر في تكوين شخصية ووجدان الدارسين بالكلية.

وليس هناك من شكّ في أن مجموعة مؤلفاته هي العلم الصحيح النقي الصافي الذي ينتفع به من يريد أن ينهل منه. وهذا الكتاب الذي أشرف بتقديمه لهو قطرة من بحر علم أفاض به الوالد الكريم على تلاميذه ومحبيه... علم مستمر ومتجدد، والدليل هذا الكتاب الذي ما أن بدأت في قراءته حتى أحسست بوجود أبي بجانبي الآن... أبي الذي أستشيره حتى يومنا هذا فيما قد يواجهني من مواقف سواء في حياتي الشخصية والعملية على حد سواء، حيث أرجع إلى أسلوبه في معالجة مواقف مشابهة واجهته فقد كان رحمه الله يعاملنا بندية تجعلنا نفكر ونتدبر الأمور.

كان والدي فناناً بكل ما تحمله الكلمة من معاني

جميلة وسامية، وبكل ما كان يحمله من مشاعر رقيقة وجيَّاشة من الحب والحماس والغضب والسخط... لكن ليس الكراهية، فلم يكن ليؤذي أو ينتقم، بل كانت بضع كلمات تكفيه ليخرج غضبه.

كان خيّراً دون انتظار مقابل إلَّا من عند الله عزَّ وجل، حتى إنني ما ألبث أن أتذكر مقولته لي: «**لا تتأخري في خدمة محتاج، فالله سوف يرد ذلك لك من سبيل آخر**». وما زلت أذكر حادثة وأنا صبية حيث كنت أركب الترام معه ورأى من النافذة عربة يجرها حصان وقد تعثّر الحصان وسقط والعربة من فوقه ووقف صاحبها حائراً، فما كان من أبي إلَّا أن نزل منطلقاً لمساعدة الرجل متمتماً أن هذا كل رأسمال الرجل في الحياة، فكيف لا نساعده في إنقاذه؟

وإذ أكتب هذه المقدمة، فأنا لا أُعَلِّق على ما كَتَبه والدي، لكنني أُحاول أن أُلْقِي مزيداً من الضَّوء على شخصية من قام بتحليل شخصيات عديدة رسمها،

وكأنها بريشة رسام، وجعلك تحييها في مخيلتك وكأنها تعيش معك. كان والدي شغوفاً بالغوص في النفس الإنسانية ووصف الشخصيات مدحاً وهجاءً، ظهر هذا بوضوح في ديوانه «رسوم وشخصيات» الذي قام فيه برسم الشخصيات بالشعر وقامت والدتي رحمها الله بتصوير الأشخاص بالرسم؛ كذلك تجلّت تلك الموهبة الفذّة في عملين غير منشورين: الأول فيما أطلق عليه «المعلقة الكبرى» وتقع في حوالي ألف بيت على وزن واحد وقافية واحدة، يقوم فيها بوصف العائلة والأقارب وتسجيل أحداث ساخرة - والجدير بالذكر أنه عند تأليف تلك الأبيات كان يجلس متربعاً وحوله شباب العائلة من أبناء الخالات وأبناء العمات والعموم ليحظى كل منهم بنصيبه من الوصف أو المدح أو الهجاء ويدونوا ما يقول دون أن يراجع ما يكتب كما يفعل معظم الناس حتى أن معالي إبراهيم دسوقي أباظة باشا وزير المواصلات والذي كان والدي مديراً لمكتبه آنذاك كان يصفه بـ «حنفية الشعر» التي ما أن تفتحها يسيل

منها شعراً رقراقاً وجميلاً. وللأسف فقدت هذه المعلقة إلَّا أن بعض المتبقين على قيد الحياة من العائلة ما زالوا يحفظون بعض منها.

أما العمل الثاني فهي مجموعة من القصائد وصف بها أصدقاءه وزملاءه في العمل، وما زال البعض منها موجود بحوزتي.

هذه جوانب من شخصية والدي تذكرتها وأنا أشكر الأستاذ فهد الدَّبُّوس... الذي أتاح لي فرصة العودة إلى الزَّمن الجميل ومعايشة ذكريات أُحِبُّها، ذكريات لأحداث كان لها الأثر الكبير في حياتي .

القاهرة في ١١ أبريل ٢٠١٣

الأستاذة الدكتورة

شفق العوضي الوكيل

رئيس قسم التخطيط العمراني الأسبق

بكلية الهندسة - جامعة عين شمس

مقدمة المؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، ورضوانه سبحانه عن صحبه الميامين:

أما بعد،

في إحدىٰ زياراتي إلى «ديوان الثلاثاء» وهو ديوان ومجلس الأستاذ الدكتور الأديب الشاعر المؤرّخ المخضرم يعقوب بن يوسف الغنيم[1]، الذي يحضره

(١) وللأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم مؤلفات عديدة وهو مهتم بالكويت وتاريخها منذ مرحلة شبابه، إذ ظهر كتابه (كاظمة في الأدب والتاريخ) عام ١٣٧٧ هـ الموافق ١٩٥٨، وتوالت مؤلفاته التي تبلغ أكثر من ٢٠ كتاباً إلى جانب ديوان شعره الذي قام بجمعه مؤخراً د. عبدالله القتم ويقع بقرابة ٢٠٠ صفحة، وما زال حفظه الله يوالي نشر نثره وشعره.
ومن الجدير بالذكر أن له ملف أسبوعي في جريدة الوطن تحت عنوان (الأزمنة والأمكنة) يصدر منذ أعوام، تطرق فيه إلى العديد من النواحي =

جَمْعٌ من الأدباء والمثقفين كشقيقة الأستاذ الدكتور مرزوق بن يوسف الغنيم وشقيقه الآخر الأستاذ الدكتور الجغرافي المخضرم المؤرخ عبدالله بن يوسف الغنيم، وكان من روَّاده كذلك شيخي الأديب الشاعر الرَّاوية عبدالله الحافظ رحمه الله تعالىٰ، وأستاذي الأديب الشاعر الرَّاوية أحمد غنام الرشيد رحمه الله تعالىٰ، وعاشق الكُتُبَ الأستاذ الأديب إبراهيم الشطي (وكيل الدّيوان الأميري)، وأستاذي الأديب الشاعر المخضرم فاضل خلف، والأستاذ والأديب المخضرم عبدالحميد بسيوني رحمه الله تعالىٰ، وأخي فضيلة الشيخ المحقق محمد بن ناصر العجمي، وأخي الباحث الأستاذ صالح المسباح، والدكتور راشد الصانع وغيرهم من الأدباء...

= التاريخية عن الكويت خصوصاً، وعن رجالها الذين تركوا آثارهم المشكورة للأجيال اللاحقة، ولو جمعت هذه الأبحاث لبلغت مجلدات عديدة – كما أخبرني منذ فترة – كل مجلد يقع بـ ٣٠٠ صفحة، بارك الله تعالىٰ بعلمه وعمره.

أقول في إحدىٰ زياراتي سألت الدكتور يعقوب عن الشاعر الفكه الرَّاوية محمد مصفطى حمام[1] الذي توفي في الكويت في القرن المنصرم، فأفاد أنه التقىٰ به مراراً عندما كان - أي الدكتور - مديراً للإعلام المرئي (التلفاز) حيث كان حمام يقدّم برامج أو يُعدّها للإذاعة - كما أخبرني الأستاذ الأديب فاضل خلف بذلك أيضاً، ومع تشعّب الحديث سألته عن الأديب الشاعر الباحث أحد تلامذة العقّاد وحواريه والمنافحين عنه، أعني: العوضي الوكيل، حيث كنت أعلم أنه كان من المترددين على الكويت، وممن يحضرون المجلس الأدبي للشاعر الأديب محمد ملا حسين[2] في دكّانه في سوق الكويت، حيث كان يحضر ثُلَّة من الأدباء ومحبّي الأدب، منهم أستاذنا الحافظ الذي أخبرني بذلك.

---

(١) وقد ترجم له العوضي الوكيل في هذا الكتاب.

(٢) هو الشقيق الأكبر لعبدالعزيز حسين وزير الدولة الكويتي السابق، وقد جمع الكثير من شعره الأستاذ الأديب مؤرخ الحركة الأدبية في الكويت خالد سعود الزيد وأصدره في كتاب، كما أورده في كتاب (أدباء الكويت في قرنين)، والجدير بالذكر أن أستاذي الشيخ الحافظ يكاد ينفرد بقصائد لم ترد في الديوان السابق ذكره.

فأجابني الدكتور يعقوب: أنه يعرفه وأنه صديق شقيقه الدكتور مرزوق، وأن العوضي الوكيل كان قد سلَّمه كتابين في ملفين تمهيداً لنشرهما، وأنه أي الدكتور يعقوب، يحتفظ بهما في مكتبته فطلبت من سيادته - وأنا أكاد أطير فرحاً لعلمي برصانة بحوث الأديب العوضي الوكيل، مما قرأت له سابقاً - أن أقوم بنشرهما في (مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس للتراث الأدبي - الكويت) فوعدني خيراً.

وقد (أنجز حرّ ما وعد) فقد تفضّل مشكوراً وتكرّم بهما في اليوم التالي لحديثنا، وكان مما دار من حديثٍ بعدها بيننا، وذلك لشكره حفظه الله تعالىٰ أن قال:

(حَظّك حلو! وحظي كذلك! عثرت عليهما سريعاً في مكتبتي... فأردفت: وكذلكَ حظ العوضي الوكيل على ما يبدو، فأعجبه ذلك.

أمّا الكتابين فهما:

١ - «أسمار وأحاديث» دوِّن على غلاف الملف تاريخ ١٩٧١ وهو على ما يبدو كان عبارة أسمار (٣٠ سمراً) كان يلقيها غالباً في الإذاعة المصرية في شهر رمضان المبارك، وقد عنونها قبل أن يشطب ذلك تمهيداً لنشرها (أسمار رمضان حلقات من إعداد العوضي الوكيل).

وكان يبدئ كل حلقة بعبارة:

سيّاداتي وسادتي!

وهي مواضع مختلفة تجمعها رابطة الأدب مرقومة على الآلة الكاتبة بقرابة ١١٩ صفحة من القطع الطويل بعض الصفحات بها تصحيحات.

ومن الأمور الطريفة أنه أيضاً وضع نموذجاً لغلاف الكتاب في الملف ربّما أعدَّه له أحد الخطاطين (وإن لم

يـدوِّن اسـمه كعـادة أغلـب الخطـاطين) وكـذلك الملـف الثاني الذي هـو موضـوع اعتنائِنـا والـذي سـنتحدث عنـه بعد قليل بإذن الله تعالى.

٢ - الملف الثاني يحتوي على كتاب [عرفت هؤلاء] الذي قدَّم له الأستاذ الأديب الناقد (الشاعر)[١] د. بـدوي طبانـة، أسـتاذ ورئـيس قـسم البلاغـة والنقـد الأدبـي، والأديـب المقـارن بكليـة دار العلـوم - جامعـة القـاهرة صـديقه الحمـيم (كمـا يبـدو مـن المقدمـة الأولىٰ)، وأمـا الثانية فهي للمؤلف نفسه دوّنها - كمـا ذكـر - فـي مـصر الجديـدة فبرايـر سـنة ١٩٦٩، وقـد تحـدَّث فيـه - أي الكتـاب - العوضـي الوكيـل «عـن سـتة عـشر رجـلاً مـن شـعراء العربيـة وأدبائهـا وكلهـم معروفـون فـي مجـالات الأدب والسياسة في عالم الصّحافة، إذا استثنينا واحد من الشعراء الذي عرفهم وتحدّث في هـذا الكتـاب ولا يكـاد

---

(١) فقد عثرت له في مجلة «أبولو» على أكثر مـن قـصيدة نـشرها فـي فتـرة شبابه.

يعرف هذا الشاعر إلا الذين رأوه أو وضعوا رؤوسهم بين يديه، وهو «الشاعر الحلَّاق» حسن محمد البطريق، كما يذكر ذلك د. طبانة في المقدمة، وهو كما يبدو من كلمة (برنامج) كان كسابقه ربما برنامجاً إذاعياً (عندما كان للمذياع شأن لم يسحب البساط منه التلفاز والذي على ما يبدو سحب البساط منه - أو كاد - الحاسوب (الكمبيوتر) والذي سحب البساط من - أو كاد - جهاز الهاتف الرقمي (الآي فون وأمثاله) ولا نعلم مستقبلاً من سيسحب البساط من هذا الأخير!

فالأيام دول...

وقد أحب الأديب العوضي الوكيل أن يجمع هذه الحلقات بين دفتي كتاب تمهيداً لنشره - وهذا ما نسعىٰ إليه ونسأل الله التوفيق بإخراج هذا الكتاب أولاً ثم (أسمار وأحاديث إن سنحت الفرصة - ومن الشخصيات التي ذكرها على سبيل المثال «عبدالحميد الديب، خليل مطران، كامل كيلاني، أحمد الزين...).

وأكاد أجزم أنه – رحمه الله تعالىٰ – أتىٰ بمعلومات لم يسبق نشرها من قبل كانت نتيجة تعامله مع هؤلاء الأدباء وغيرهم...

مسوّدة الكتاب مرقومة على الآلة الكاتبة بقرابة ٨١ صفحة من القطع الكبير، وقد كانت خطتي في الاعتناء بهذا الكتاب محاولة تصحيح الأخطاء المطبعية (وهي كثيرة) والتعليق في الهوامش، وإيراد صور المُترجم لهم – ما أمكن – وذكر من تَرْجَمَ لهم وقبل ذلك الترجمة لصاحب الكتاب ترجمة وافية بإذن الله تَعالىٰ...

والحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير لله تعالىٰ

فهد بن محمّد بن نايف الدبوس

الكويت في ربيع الآخر لسنة ١٤٣٤هـ

الموافق ٢٠١٣/٣/٣

بسم الله الرحمن الرحيم

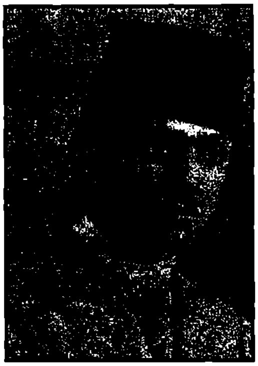
ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا

العوضي الوكيل

(بخط العوضي الوكيل)

المصدر: الأستاذة الدكتورة شفق العوضي الوكيل

(العوضي الوكيل)(1)



صورة نادرة للشاعر
العوضي الوكيل
المصدر: مجلة أبولو

هو أديب، وشاعر وناقد مصري.

---

(1) ممن ترجم له:

١ - أخي الأستاذ البحاثة أحمد العلاونة في كتابه (ذيل الأعلام) الجزء الأول، ص ١٤٧، دار المنارة، جدة، السعودية.

٢ - معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، لكامل سلمان الجبوري، المجلد الرابع، ص ١٠٨، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢، لبنان.

٣ - قاموس الأدب العربي الحديث، إعداد. د. حمدي الكوت، ص ٣٩٤ - ٣٩٥، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٧.

٤ - مصادر الدراسة الأدبية، يوسف أسعد داغر، ص ١٤٨٥ - ١٤٨٦، مكتبة لبنان ناشرون، عام ٢٠٠٠.

٥ - من الأدب المقارن، الجزء الثاني، نجيب العقيقي، ص ١٠١، مكتبة الأنجلو، مصر، ط ٣، ١٩٧٦.

٦ - معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين (شبكة الإنترنت)، مع أن المعجم بحالته الورقية لديَّ، إلا أنني استعصىٰ عليَّ العثور على ترجمته! وحاول معي أخ كريم والنتيجة واحدة، حتى الفهارس عجزت عن مساعدتنا!

وُلِدَ يوم ١٩١٥/٤/١١[(١)] في قرية دماص[(٢)] ميت غمر – دقهلية، وتخرج من كلية دار العلوم عام ١٩٣٧ بعد أن تلقى علوم اللغة العربية وآدابها بمختلف فروعها والفقه الإسلامي والمنطق والتربية وعلم النفس واللغة العربية![(٣)].



الأستاذ العوضي الوكيل وهو يلقي أحد الخطابات
المصدر: الأستاذة الدكتورة شفق العوضي الوكيل

(١) كما ذكر الأستاذ حسين عبدالعظيم الذي كتب مادة ترجمته في قاموس الأدب العربي الحديث.
(٢) مصادر الدراسة الأدبية.
(٣) معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢.

ثم انخرط في سلك التدريس فترة من الزمن لينتقل في عدد من الوظائف الحكومية بينها التالي[١] :

- مدير مخازن البريد.
- مدير إدارة مكتب وزير التربية.
- مفتش ومراقب عام بديوان الموظفين.
- فمدير عام الميزانية بديوان الموظفين.
- فوكيل الجهاَز المركزي للتنظيم والإدارة.
- وكيل وزارة الثقافة المصرية...

بدأ بقرض الشعر[٢] في المرحلة الثانوية حين اشترك مع زميليه أحمد مخيمر وعبدالحكيم المحلاوي في إصدار ديوان «أنفاس في الظلام» الذي طبع على نفقة الشاعر عزيز أباظة، وهو من كبار شعراء الهجاء[٣].

(١) مصادر الدراسة الأدبية، وكتابه مراثي الحيوان.
(٢) قاموس الأدب العربي الحديث.
(٣) ذكرت لي ابنته الأستاذة الدكتورة شفق ذلك أيضاً، وأن له معلقة في ١٠٠٠ بيت تقريباً مليئة بالهجاء - فُقدت - كان اسمها المعلقة الكبرىٰ! =

إلـــى جانـــب كونـــه صـــاحب أول ديـــوان أُسَـــرِي، فقـد أصـدر ديوانـاً كـاملاً عـن أسـرته بعنـوان «عـالمي الصغير»[1].

وكـــان - رحمــــه الله تـعــالــىٰ - ثـري الإنتـاج نثـراً وشعراً.

ذكر الأستاذ حسين عبدالعظيم أن لـه ٣٠ مؤلفاً في الأدب والنقد واللغة، منها ثمانية دواوين، وذكر في كتابه (مراثـي الحيـوان) أن لـه أكثـر مـن ٣٥ كتابـاً، فـضلاً عـن عشرة دواوين من الشعر.

وهذه قائمة ما استطعنا حصره من مؤلفاته[2]:

أ - الشعر:

١- أشــعار إلــى الله، (ديــوان شــعر) المجلــس الأعلــىٰ

= والجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور بدوي طبانة يذكر في مقدمته لكتابنا هذا أن هجاءه لم يكن من النوع المقذع أو هذا ما نستشفه من حديثه...

(١) قاموس الأدب العربي الحديث.

(٢) اعتماداً على المراجع السابق ذكرها في ترجمته وابنته الدكتورة شفق.

للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٢ .(ذكرت الدكتورة شفق[١] أنه نظمه بعد إصابته بالشلل النصفي).

٢- أصداء بعيدة (ديوان شعر) مصر ١٩٦٠ .

٣- أغاني الربيع (ديوان شعر) القاهرة ١٩٣٩ .

٤- أنفاس في الظلام (ديوان شعر) القاهرة ١٩٣٣، (بالاشتراك كما ذكرت إحدى المصادر).

٥- تحية الحياة (ديوان شعر) القاهرة ١٩٣٦ .

٦- رسوم وشخصيات (ديوان شعر) ١٩٦١ .

٧- شفق (ديوان شعر) مصر ١٩٦٠، ذكرت لي ابنته الأستاذة الدكتورة شفق أن به ٣ قصائد عنها.

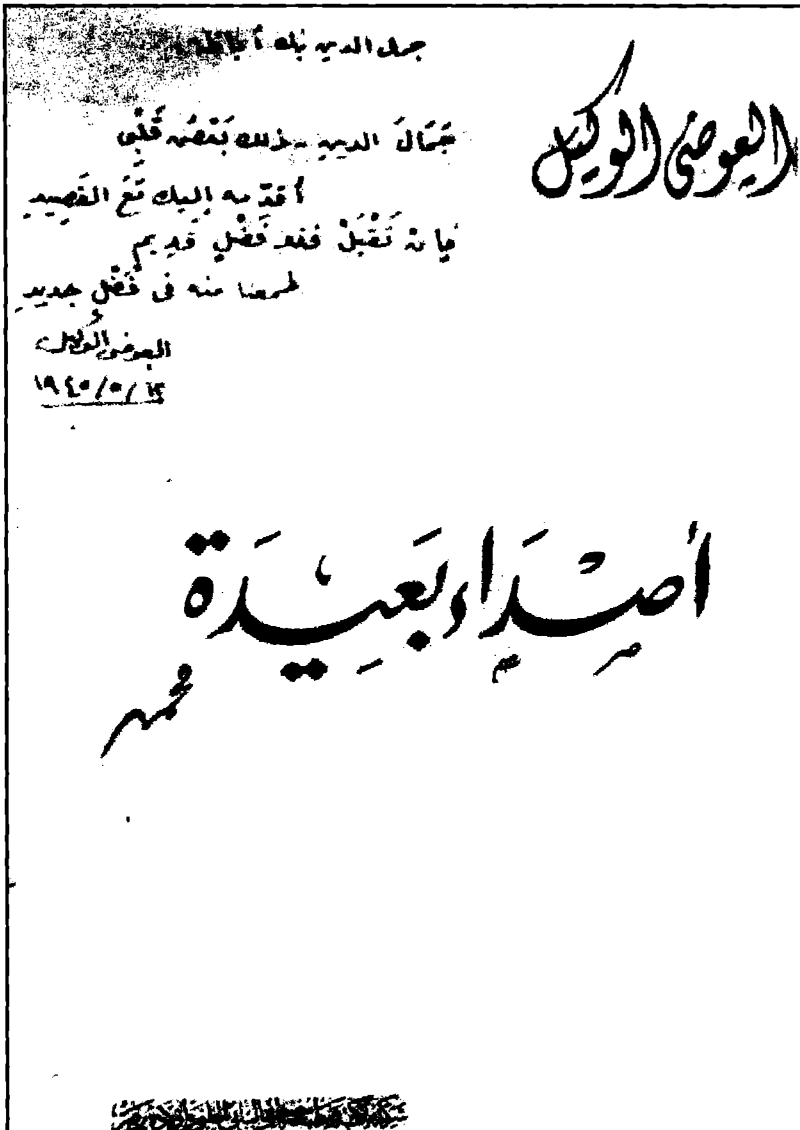
٨- عالمي الصغير (ديوان شعر) عن أسرته. (ويذكر الأستاذ حسين عبدالعظيم[٢] أنه بإصدار هذا الديوان يكون رائداً للشعر الأسري).

٩- فراشات ونوار (ديوان شعر) ١٩٧١، وحصل به على جائزة الدولة التقديرية.

---

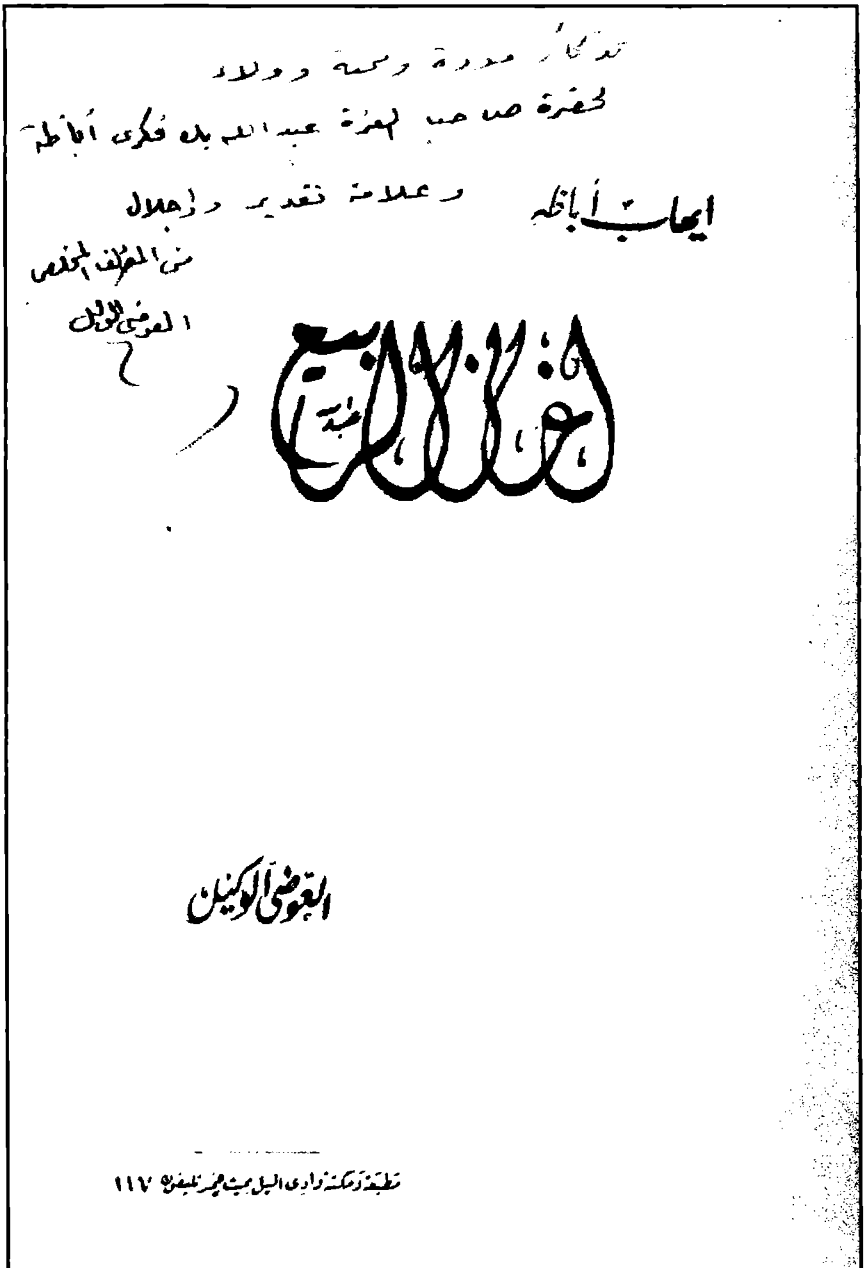
(١) في محادثة هاتفية أجريتها معها بتاريخ ١٧/٢/٢٠١٣.

(٢) قاموس الأدب العربي الحديث.



أحد كتب العوضي الوكيل يحمل إهداءً شعرياً منه، وقد شاهدت عدّة كتب مهداة منه بهذه الطريقة مما يدلُّ على حبِّه للشعر وتمكنه منه.

(المصدر: مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس للتراث الأدبي - الكويت)
إهداء من أخي الأديب الأستاذ أحمد الحسيني.



(المصدر: مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس للتراث الأدبي - الكويت)



(المصدر: الأستاذة الدكتورة شفق العوضي الوكيل).

الأعمال النثرية:

١- أعلام الشعر الفرنسي وطرائف في آثارهم[1]، القاهرة، ١٩٤٥.

٢- الديوان في الأدب والنقد، القاهرة ١٩٦٩ (الجزء الثالث).

٣- شرح ديوان المتنبي، نشرته دار الشعب مجزَّأً، القاهرة ١٩٧٥.

٤- الشعر بين الجهود والتطوّر، مكتبة الأنجلو – مصر.

٥- العقاد والتجديد في الشعر، القاهرة ١٩٦٥، ط ٢، ١٩٧٠.

(١) ذكرت إحدى المراجع أنه أعده بالاشتراك مع زوجته، وقد أكدّت ذلك لي ابنتهما الدكتورة شفق، وذكرت لي أن والدتها الأستاذة/ سعدية صبري، كان تخصصها الأدب الفرنسي، وأنها قامت بترجمة:
١ – الاستقراطيون، لميشيل دي سامبيير.
٢ – الرجل المطارد، لفرانسيس كركو.
عن الفرنسية.

٦- قضية السَّفود بين العقاد وخصومه[١]، القاهرة، ١٩٧١.

٧- كتابنا هذا (عرفت هؤلاء).

٨- كتب ترجمة الأستاذ الشاعر عزيز أباظة في الجزء الثاني من كتاب خمسة من شعراء الوطنية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧٦.

٩- المؤتمر والمهرجان بين بغداد والبصرة.

١٠- مراثي الحيوان في الشعر العربي، دار الرفاعي، الرياض.

١١- مراجع في أصول اللغة والأدب (في النقد الأدبي) القاهرة ١٩٤٠.

١٢- مطالعات وذكريات القاهرة، ١٩٧٣.

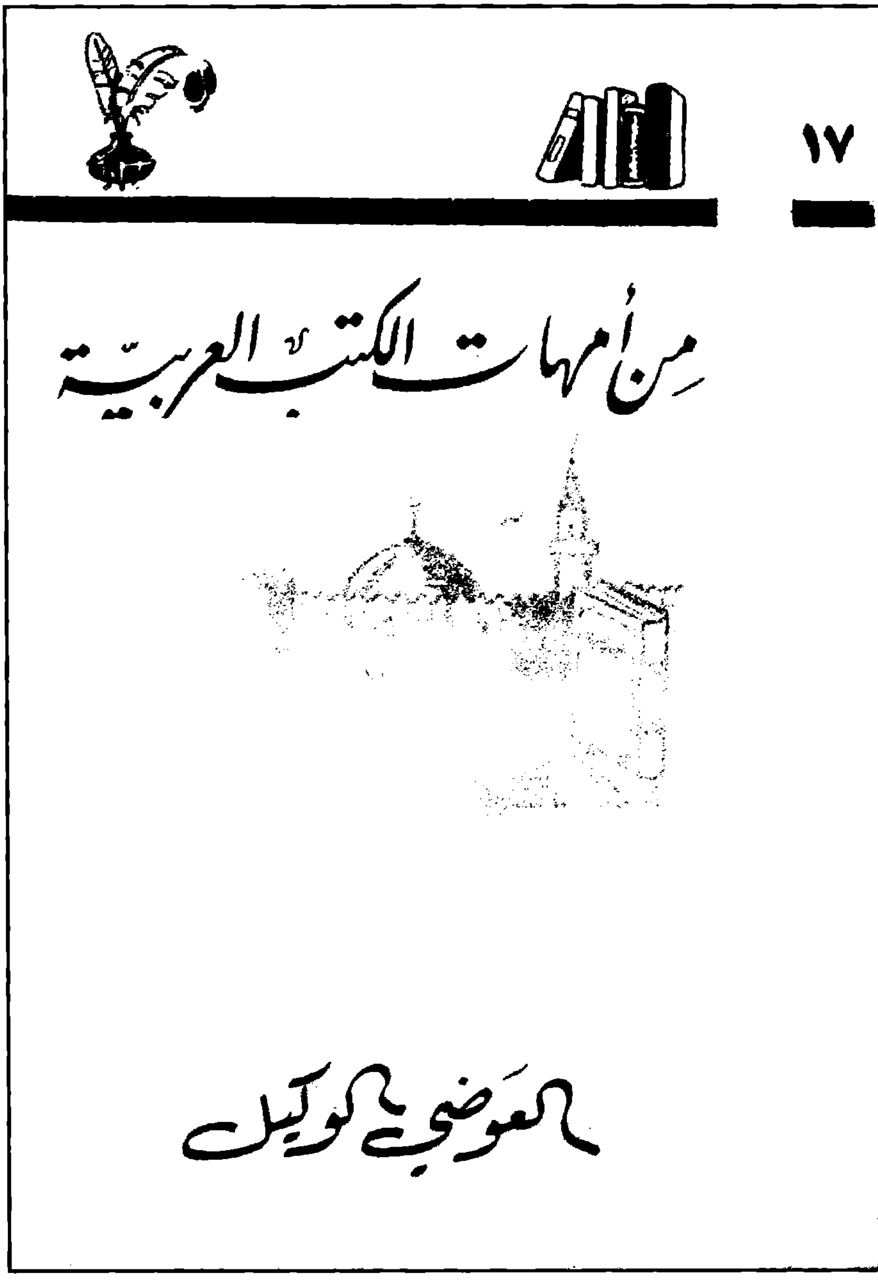
١٣- من أمهات الكتب العربية، من سلسلة المكتبة الصغيرة، ط ١، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ - السعودية[٢].

١٤- نظرات في الشعر السعودي المعاصر.

---

(١) يقصد بكتاب مصطفى صادق الرافعي (على السَّفُّود).

(٢) تفضَّل عليَّ به الأستاذ الدكتور يعقوب بن يوسف الغنيم مشكوراً.



(المصدر: إهداء من أ. د. يعقوب الغنيم)

ومما لا يزال مخطوطاً :

- أسمار وأحاديث، مرقوماً على الآلة الكاتبة، لدينا.
- ومجموعة قصائد وربما مؤلفات أخرىٰ، ذكرت الأستاذة الدكتورة شفق العوضي الوكيل إنها لديها ولدىٰ العائلة...
- وقد راجع عدد من الكتب، منها «الزمن في الأدب» لهانز ميرهوف الذي ترجمه أسعد رزق[1].
- وديوان الوائلي (سمو الشيخ محمد بن عيسىٰ آل خليفة).



- الأوسمة التي حصل عليها[2].
- جائزة الشعر من مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٤.
- وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولىٰ، ١٩٧١.

(١) قاموس الأدب العربي الحديث.

(٢) الأستاذ حسين عبدالعظيم في قاموس الأدب العربي الحديث وما كتبه في التعريف بنفسه بظهر كتابه (مراثي الحيوان).

- جائزة الدولة التشجيعية للشعر عام ١٩٦٩.
- وشاح الروَّاد الأوائل في عيد العلم.
- جائزة الدولة التقديرية للشعر على ديوانه فراشات ونوار[1].
- جائزة على الوسام الثقافي من تونس.
- عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلىٰ للثقافة.

وفاته:

وقد ترك مكتبة ضخمة أهدت أغلبها عائلته لكلية دار العلوم في مصر.

توفي رحمه الله تعالىٰ في: ١٩٨٣/٩/١٢، كما ذكرت بعض المصادر، [وقد أكدَّ ذلك لي ابنته الدكتورة شفق].

مع العلم أن بعض المصادر ذكرت وفاته عام ١٩٧٦ وهذا غير صحيح.

(١) مصادر الدراسة الأدبية.

برنامج ((هؤلاء عرفت))

١) عبد الحميد الديب

* العوضي الوكيل

اذا كان الحظ قد تجافى عن الديب في حياته ، فتركه بائسا فقيرا ، ممزق الثياب ، يكاد يمد يده الى الناس بالسؤال ، فان ذلك الحظ نفسه قد التزم الخطة نفسها في الديب اديبا و شاعرا ، فقد كان رحمه الله حتى قبيل وفاته خامل الذكر مجهول المكانة لا يدرك فضله حتى اقرب الناس اليه وكان المسكين يتكسب لا يمدح الناس بالقصائد الطنانة الرنانة كما يتصور كثير من الناس لان مرحه لم يكن مما يشتهي الممدوحون و يدفعهم الى البذل و العطاء ، بل انه كان يعيش على القطرات القليلة التي كان يجود عليه بها اخوانه الادباء و الشعراء ممن يعرفون منزلته و لكنهم و قد ادركتهم حرفة الادب لا يستطيعون ان يبللوا يده الا بأمثال هذه القطرات ، كان يعيش على ما يكسبه من بعض المتعطلين الذين كانوا يجلسونه معهم على المقاهي ليتخذوا من بؤسه و عدمه سخرية يتفكهون بها و لقد تردد المسكين في اول امره ان يكسب عيشه بهاتين الوسيلتين و اخذ يصيح ،

وكم مرت النعمى على بعينه ... لأبعدني عنها وضيع الوسائل

و لكنه ما لبث ان راض نفسه على ما تكره لعل ذلك يخلصه بعض الشيء من قسوة الدهر و شظف الحرمان ،

سمعت بالديب قبل ان آراه و رأيته اول مرة في دار مجلة ابولو للشعر التي كان يصدرها المرحوم الدكتور / احمد زكي ابو شادي في اوائل العقد الثالث من هذا القرن حين دخل علينا رجل في الخامسة و الثلاثين من عمره تقريبا يلبس ثيابا اتى الزمن و الوسخ على معظمها و طويلا لم يعرف الى الآن سبيلا منذ امد بعيد دخل و حيانا في صوت خافت يكاد يختفي بالحياء فقدمه الدكتور / ابو شادي الى الحاضرين فرحبوا به و بعد ان اطمأن به المكان اخرج من جيبه ورقتين عليهما قصيدتان من شعره قدمهما الى المجلة فقرأهما ابو شادي على ملأ الحاضرين و اخذ يثني عليه و يسأله مزيدا من القصائد لمجلة ابولو و الديب يغضي حياء من الاطراء و بعد قليل اخذه ابو شادي الى ردهة كانت تتصل بالحجرة و اعطاه جنيها رآه الحاضرون جميعا و عاد كل منهما الى مكانه و ما لبث الديب ان غادر الدار مسرعا ،

نموذج من (مسودة) الكتاب المطبوعة على الآلة الكاتبة


الأستاذ الدكتور بدوي طبانة
وصورة نادرة له في مرحلة الشباب
المصدر : مجلة أبولو

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تصدير

بقلم: الدكتور/بدوي طبانه[1]

أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد الأدبي
والأدب المقارن بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

كتب «العوضي الوكيل» عن هذه الطاقة من الأعلام المعاصرين الذين عرف بعضهم عن بُعْد، وعرف بعضهم عن كَثَب.. ثم كتب عن كل واحد منهم هذه

---

(١) هو: بدوي بن أحمد إبراهيم طبانة ناقد أديب، من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وُلِدَ بمدينة الشهداء بمحافظة المنوفية بمصر، وتخرج في كلية دار العلوم عام ١٩٣٨ ومنها حصل على الدكتوراه عام ١٩٥٣، وعمل مدرِّساً فيها وتقلّب في وظائف التدريس حتى غدا رئيساً لقسم البلاغة والنقد الأدبي.
من مؤلفاته: قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، السرقات الأدبية، معجم البلاغة العربية. وفي التحقيق: المثل السائر في أدب الكاتب، والشاعر لابن الأثير، والفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد.
(المصدر: مع الاختصار، ذيل كتاب الأعلام ج ١، ص ٣٤، ٣٥، لأخي البحاثة الأستاذ أحمد العلاونة).

العُجَالـة التـي لا أشـك فـي صـدقها، ولا أشـك فـي عظـم جـدواها للقــارئ الأديــب الــذي يحــب أن تستــشف شخـصيته علــى هــذا النحــو مــن الإيجــاز المفيــد، أو لِمُــؤَرّخ الأدب الــذي يحــرص علــى ألا تفوتــه فائــدة يــستطيع أن يغتنمهــا عــن الأدب المعاصــر عــن طريــق تَعَرُّفـه علـى شخـصيات ربمـا سـمع عـن بعـضها وربمـا طوى الزمـان وضـاع فـي زحمـة أحداثـه وأفاعيلـه بعـضها الآخر، بما لـم يـتح لـه مـن أسـباب الظهـور، ولأدبـه مـن عوامل الذيوع ما يبقى له شيئاً من الذكر بـين أهـل الأدب والفنون.

وربمـا كـان فـي اسـتطاعتي أن أكتـب عـن العوضـي الوكيل بما يتيح لي ذكريات الصحبة وذكريـات الـصداقة التي اتصلت ما يقرب من أربعين عامـاً، ولـم يكـن يقطـع هذه الصحبة العزيزة شيء سوى شـواغل الحيـاة وحـدها، لأن قطيعة الجفاء أو قطيعة القِلَى لم يكـن لهـا وجـود فـي تاريخ علاقاتنـا طـوال هـذا الـزمن غيـر القـصير فـي حيـاة

الأفراد التي تستوعب مراحل الصبا ومراحل الشباب وتَدْرُج إلى مرحلة الخريف في العمر المحدود.

ومن بين الصفات الكثيرة التي تتميز بها شخصية العوضي الوكيل صفتان بارزتان، تطبعان شخصيته بطابعهما الممتاز، وتحددان سلوكه في الحياة وتُؤَثّران في علاقاته بالناس، كما تؤثران في علاقة الناس به تأثيراً واضحاً.

والصِّفة الأولى من هاتين الصِّفَتين اللَّتين أعرفهما جيداً في صديقي العوضي، هي «البساطة» بكل ما تحوي هذه اللفظة من المعاني في استعمالات العامة وفي استعمالات الخاصة على السواء.

ذلك أن الناس قد دَرَجُوا على أن يصفوا بالبساطة كل إنسان سويٍّ تغلب عليه طبيعة الصَّفاء وفضيلة التسامح، وليست في حياته عقد نفسية توجه نظرته إلى الحياة أو الأحياء، ويقيس بمقياسها علاقته بالناس أو آراءه فيهم.

وقد يسخط العوضي أو يثور في بعض الأحيان، يدفعه إلى ذلك السَّخط أو تلك الثورة ما قد يرى من مظاهر التنكُّر للصّداقة التي يخلص لها، أو الإنكار للمعروف الذي لا يدّخر في إسدائه وُسْعاً. وهو يبذل صدقاته راضياً مخلصاً لكل من أقبل عليه، بل لكل من تظاهر بالإقبال عليه، ويبذل من المعروف ما وسعته القُدرة على بذله لكل طالب له. ولكن رضاه دائماً أقرب من سخطه، ومروءته أسبق من انتقامه أو من محاولة أخذه بحقه.

وقد يطفئ غلّته في الانتقام بيتان من شعره، أو أبيات ينفثها ينفس بها عن نفسه، وهي في طبيعتها أقرب إلى روح المزح والدعابة المقبولة منها إلى طبيعة الهجو اللاذع الذي يقصد به إلى النيل من الكرامات أو العبث بذوي المروءات ممن ظن أنهم من أهلها، ثم لا يلبث بعد ذلك إلَّا قليلاً حتى تطمئن نفسه، ويهدأ روعه، فإذا هو أسرع إلى استرضاء الصديق الذي أغضبه في

وداعة وبراءة، لأن سخطه لا يمكن أن يستحيل حقداً يُغشى على القلوب، أو يحمل صاحبه على الإسراف في العداوة أو اللَّدد في الخصومة.

وصفته الأخرى التي تطبع شخصيته وثيقة الصِّلة بصفته الأولى، وهي أنه شاعر بكل ما تحمل هذه الكلمة من المعاني. وربما كانت الصِّفة الأولى مظهراً من مظاهر روحه الشاعرة التي تنبض بالحس المرهف، وتفيض بالعاطفة المشبوبة.

والعوضي شاعر مطبوع منذ نعومة أظفاره، وما يزال طبعه يواتيه وينفحه بروائع القصيد ومحكم القوافي وهيهات لمثله أن يُجْبِل، وهيهات لمثل شاعريته الثرّة أن ينضب معينها الدفّاق، فقد خُلق شاعراً، وكلما تقدمت به السنون ازدادت أداة فنّه استحكاماً، وزادت شاعريته رسوخاً وزاد فنه الشعري تألّقاً.

والعوضي في شعره أبعد الشعراء عن المُعَانَاة ورشح

الجبين في نظم القريض، وربما كان سبيل المنظوم من القوافي أيسر عليه وأخف مؤونة من كتابة المنثور.

وشعره أبعد الشعر عن التكلُّف أو الصنعة إلا ما يأتيه منها عفواً مطبوعاً من غير قصد أو تعمل، ومعانيه أبعد المعاني عن التعقيد، وتلك سِمَة المطبوعين من الشعراء الذين تجد شعرهم أسرع إلى الفهم، وألصق بالقلب، وأقرب إلى روح الشعر، وكأن قصائده هي المعنية بقول الشاعر:

حُـزْنَ مـستعمل الكـلام اختيـاراً
وتَجَنَّــبْنَ ظُلْمـــة التعقيـــد
وركـبن اللفـظ القريـبَ فأدركـ
ــن بـه غايـة المـراد البعيـد

وذلك كله أثر من أثار «البساطة» وسماحة النفس التي أشرنا إليها، مع قدرة فائقة على السخرية، وعلى تأليف الصور البديعة في ذلك اللَّون الذي عُرف به أفذاذ

من شعراء العربية وأدبائها في طليعتهم الجاحظ وابن الرومي.

* * *

وبعد، فما أحسب هذا الحديث عن العوضي الوكيل بمعزل عن هذا الكتاب الذي يقدمه العوضي الوكيل إلى المكتبة الأدبية إلى ما قدم إليها من قبل من دواوين شعره ودراساته الأدبية النافعة، وإلى ما أذاعه في الناس بوسائل الإذاعة المختلفة في مصر وسائر المواطن العربية التي عرفته وأحبّت أدبه وقَدَّرَتْه.

وإذا كان ما قدمت عن شخصية العوضي وطبيعته صحيحاً، فإنّ هذه الصفحات واضحة الصدق عن تلك السِمات التي أشرت إليها فيما سلف من القول، وقد كتبها عن ستة عشر رجلاً من شعراء العربية وأدبائها وكلهم معرفون في مجالات الأدب والسياسة وفي عالم الصحافة، إذا استثنينا واحداً من الشعراء الذين عرفهم وتحدّث عنهم في هذا الكتاب. ولا يكاد يعرف هذا

الشاعر إلَّا الذين رأوه، أو وضعوا رؤوسهم بين يديه، وهو «الشاعر الحلاق» حسن محمد البطريق.

وتلك إحدى حسنات هذا الكتاب الذي كنت أتمنّى ولعل كثيرين يشاركونني هذا التّمني، أن يكثر فيه الحديث عن أمثال هذا النمط من الأدباء المغمورين الذين ضاعوا في غمرات الزمن، لأنهم آثروا الرزق الحلال من كفاح الحياة وعرق الجبين، ولم يتمسحوا بعتبات الكبراء والأمراء والحكام فجهلهم عامة المتأدبين من أهل زماننا، وستكون الأجيال القادمة أكثر بهم جهلاً، وسيفقد التاريخ الأدبي بهذا الجهل خيراً كثيراً.

ومن فضائل هذا الكتاب أن المؤلف اقتصر في دراسته لسائر الأعلام على عرض ما وقف عليه من أحوالهم بنفسه، وما عرفه عن طريق الرؤية القريبة التي أتاحتها له الظروف مما لم تتح لغيره من الكاتبين.

ومن هنا ظهرت من شخصياتهم تلك الجوانب التي يطالعها القارئ في هذا الكتاب، وهي من غير شك جوانب جديدة تعين القارئ على وضوح الصورة، كما تعينه على تفسير الظواهر المختلفة في أعمالهم أو في سلوكهم، التي يجليها ما وراءها من البواعث والمؤثرات النفسية التي انفرد بها هذا الكتاب وعرضها في مثل ذلك الأسلوب الممتع الأخَّاذ الذي يغرى بالقراءة، ويدفع القارئ إلى التطلّع وإلى طلب المِزيد من تلك المعرفة التي أتيحت أسبابها للمؤلف.

وكان من حق القارئ على المؤلف أن يبدي صفحة الحقيقة كاملة كما عرفها؛ إذ كان في هذا الكمال ما يخدم الفكرة ويجليها، ويساعد على الشخصيات بجميع مقوماتها، وجميع العوامل المؤثرة في تكوينها. وقد أَرَى أنه لا يكفي في ذلك إيراد بعض الحق بحجة أن لأصحاب هذه الشخصيات أهلاً وأقارب لا يسع المؤلف إلَّا أن يجاملهم بحكم عيشه بينهم، وأنه يجد شيئاً من

الحرج إذا قال عنهم كل ما يعرف، وكتب الحق كله عن أهليهم وأقاربهم، وأنه يدع ما بقي من الحقيقة لجيل تال يرتفع عنه ذلك الحرج وتسقط عنه دواعي المجاملة بعد نحو خمسين سنة، فأنَّى ذلك الذين يعيش من المعاصرين خمسين سنة؟ وأنى له تلك المعرفة بأولئك الذين تحللت أجسادهم، وتشتت شمل أهليهم وأصدقائهم؟ واختفت في مطاوى الزمن سيرتهم وأخبارهم؟

لست مع صديقي العوضي في هذا ما دام يتجرّد للحقيقة، وما دام يعرف جوانبها المشرقة وجوانبها المظلمة، وقد يكون في الجانب المظلم من أسباب التبصرة وأسباب المعرفة ما لا يكون في الجانب المشرق والحقيقة في كل حال هي أمنية الباحثين لا يحيدون عنها، ولا يرضون بغيرها بديلاً من رضا الراضين أو سخط الساخطين.

على أن هذا الرأي لا يستطيع أن يحجب الأضواء

الكاشفة التي سلطها المؤلف الصديق، فأبانت كثيراً مما كان يخفى على جمهرة الأحياء من المثقفين في ميادين الثقافة المختلفة.

* * *

وأخيراً لا بد من القول بأن العوضي الوكيل الذي لمع اسمه في الحياة الأدبية المعاصرة شاعراً في طليعة الشعراء وكاتباً مجيداً، وناقداً بارعاً لم يكن في حاجة إلى من يقدمه أو يقدم أثراً من أثاره النافعة. ولكنه حرص على أن يسجل الودَّ الأصيل بين قلبينا ليقترن الاسمان، كما ائتلفت الروحان، فكان صاحب الحظ الأوفى والفضل الأوفر وكانت لي هذه الكلمات التي لم أقل فيها غير ما أعرف من الحق عن أدبه وفضله.

والله الموفق للصَّواب،،،

دكتور/بدوي طبانه

المقدمــة

[تمثيلية في بعض مشهد][1]

(٠)

المنظر: قاعة كبرى، تزدان بنقوش من طرز مختلفة، بها منصة كمنصة المحكمة، تعلو على أرض القاعة، ويحجزها عن سائر أرض القاعة سور عال من النحاس لا يحجب وجوه الجالسين في المنصة. وفي القاعة مقاعد كثيرة، يجلس عليها قوم يختلفون في كل شيء، عرفنا منهم ابن خلدون وقد جلس يتحدّث مع عبد الرحمن الرافعي بصوت مسموع، كأنما ينهره ويلومه،

(١) كان مشروع الكتاب – كما أخمّن – عبارة من برنامج إذاعي كان يقدّمه الأديب العوضي الوكيل في إذاعة القاهرة، والدليل أن هناك كتاب آخر تفضَّل به عليَّ بعد الله عزَّ وجل الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم عنوانه [أسمار وأحاديث] كان مخصّصاً للإذاعة في شهر رمضان.
ومن الأدلة وجود عبارة برنامج «هؤلاء عرفت» في بداية ترجمة الأدباء في أعلى الصفحة جهة اليمين.

عابس الوجه مقطب الجبين، وعرفنا منهم فتحي رضوان، وقد وقف بالقرب من سور المنصة ووجهه إلى الحائط ويداه إلى أعلا كأنما هو تلميذ يستوفي عقاب الأستاذ، وعرفنا منهم غير هؤلاء – يسمع طرق شديد على الباب الموصل إلى المنصة ثم يفتح عن حاجب.

الحاجب: وقوفاً أيها السادة.... يوشك «التاريخ» أن يدخل القاعة «يسود القاعة صمت رهيب حتى يكاد الناس أن يسمعوا دقات قلوبهم»، «ثم يدخل التاريخ ويومئ للناس بالجلوس فيجلسون».

التاريخ: باسم[1] الحق والأمانة وشرف الإنسانية نفتتح هذه الجلسة...

«يم يوجه الكلام إلى الحاجب».

ناد السيد/العوضي الوكيل.

الحاجب: السيد/العوضي الوكيل.

(١) الصحيح أن يكون «بسم الله».

العوضي الوكيل: نعم.... ها أنذا....

التاريخ: تفضل أمام المنصة....

«يتقدم العوضي الوكيل حتى يقف أمام سور المنصة».

هؤلاء الذين يجلسون في القاعة قوم استدعتهم هذه المحكمة التي تستطيع ووحدها دون سائر المحاكم أن تستدعي[1] الأحياء والأموات على السواء لنستجوبك أمامهم عن كتابك « **عرفت هؤلاء** » الذي تقدمت به إلينا.

فقدم نفسك إليهم وأعل صوتك فإن هيرودوت[2] يجلس في آخر القاعة ومن حقه أن يسمع، وأنه سمعه لضعيف من كثرة ما حمل من أعباء السنين..........

العوضي الوكيل: يشرفني أن أقدم نفسي إليك أيُّها

---

(١) القصّة خيالية، كما لا يخفى على القارئ، وإلا فالأموات في عالم آخر.

(٢) هو مؤرخ يوناني شهير.

التاريخ، وإلى هؤلاء الذين يحتشدون في هذه القاعة، ولو أنني لست مؤرخاً، ولو أنني لم أكتب تاريخاً ويسعدني أن أرى في الحاضرين من كنت أقرأ له وأعجب به، وأتعلم على يديه دون أن يدري.....

أما أنا – إذا كان لا بد من أن أقدم نفسي – فأنا العوضي الوكيل، وُلِدت في الحادي عشر من أبريل (نيسان) سنة ألف وتسعمائة وخمس عشرة وكان أبي تاجراً وفلاحاً، ولكنه كان يقرأ ويكتب ويقتني الكتب ويعتد بنسبته إلى العرب، ويمتدح هذا الجنس من الناس، ولا يترك فرصة إلَّا ويعدد لي من مناقبهم ما حببني فيهم وفي تراثهم... أما أمي فهي سيدة ريفية تنتسب إلى الدوحة العلوية الشريفة. أمية لا تعرف القراءة والكتابة، ولكنها مع ذلك كانت ذات خيال واسع كم أسعدنا بقصصه في ليالي الشتاء الباردة الطويلة. وفي قرية دماص من أعمال محافظة الدقهلية نشأت وتعلمت تعليمي الأول، ثم مضيت إلى دار العلوم بقسميها الثانوي والعالي فتخرجت فيها، ثم قمت بالتدريس في

المـــدارس ثـــم اختـــرت ســـبيل الوظـــائف الإداريـــة والمالية.....

التاريخ: يكفي هذا، وماذا عن كتابك؟

العوضي الوكيل: كتابي هذا الذي أتحدث عنه اليوم، ليس تاريخاً، وما زعمت لنفسي ولا لغيري يوماً أنني مؤرخ،.....

التاريخ: فلماذا قدمته إلينا إذن؟

العوضـي الوكيـل: هـذا شـيء يـرتبط بمنهجـي فـي كتابته، ويتّصل بطريقتي في التعبير عمّا أريد فيه، أو ما أريد منه...

لقد كتبـت هـذا الكتـاب ليمثـل انطباعـات شخـصية، وآراء اســتنبطتها بنفـسي دون أن أقـصد بـه دراسـات أو بحوثـاً أو تحليـلات لشخـصيات أولئـك الـذي تنـاولهم الكتاب، إنما رأيت أشياء، قد أكون وحدي الـذي رأيتهـا ولو تركت تسجيلها لضاعت وأرى أنها لازمـة كَمَـادّة مـن المواد التي يصنع منها تاريخ الناس – أو تاريخ الشعوب

والدول. فهو إذن ليس تاريخاً وإنما هو «كالمادة الغفل – الخام» التي توضع بين يدي الصَّانع ليأخذ منها ما يأخذ ويدع منها ما يدع.

التاريخ: أنت إذن شاهد من شهود التاريخ، فهل تقسم للتاريخ أن تقول الحق كل الحق، ولا شيء غير الحق!

العوضي الوكيل: صدقت أيها التاريخ العظيم، هذا ما أحب أن أوصف به، «شاهد من شهود التاريخ، رأى من زاويته، وشهد بعينيه وسمع بأذنيه ولمس بيده، وسجل بعض ما رأى وما سمع وما لمس.

وإني لا أقسم بك أيها التاريخ، قسماً صادقاً، أنني كتبت ما اعتقدت أنه الحق، ولا شيء غير الحق...

التاريخ: ولكنك تركت القسم، بكل الحق، وأقسمت فقط بالحق، ولا شيء غير الحق.

العوضي الوكيل: أصدق أيُّها التاريخ القول: إنني لم أقل في هذا الكتاب كل الحق وإنما قل بعضه، لأن

أولئك الذين كتبت عنهم، لهم أهل وأقارب لا أستطيع إلَّا أن أجاملهم بحكم عيشي بينهم وأجد بعض الحرج في أن أقول كل الحق فيما كتبت عن أهلهم وأقاربهم..

أليس يكفيك مني أن أقول الحق ولا شيء غير الحق، ثم أدع الباقي لجيل يتلونا، يرتفع عنه الحرج، وتسقط أسباب المجاملة، فيستطيع شاهد التاريخ أو كاتبه أن يقول كل شيء!

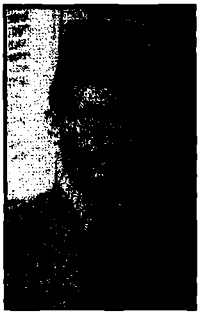
التاريخ: لا عليك إذن، ودع كتابك لنا، بل دعه للناس، يقولون فيه، ويزيدون عليه أو ينقصون منه... حتى إذا مضت عليهم خمسون سنة أصبح تاريخاً صحيحاً أو مادة للتاريخ لا بهتان فيها...

رفعت الجلسة......

«ووقف التاريخ لينصرف من حيث أتى، بعد أن تسلم نسخة من هذا الكتاب لينفذ بها قراره في ختام الجلسة».

مصر الجديدة – فبراير سنة ١٩٦٩ **العوضي الوكيل**

١) عبدالحميد الديب[1]


عبدالحميد الديب
(صورة نادرة له من مجلة الهلال عام ١٣٦٨هـ - ١٩٦٦)

إذا كان الحظ قد تجافى عن الديب في حياته، فتركه بائساً فقيراً، ممزّق الثّياب، يكاد يمد يده إلى الناس بالسؤال، فإن ذلك الحظ نفسه قد التزم الخطة نفسها في الديب أديباً وشاعراً، فقد كان رحمه الله حتى قبيل وفاته خامل الذكر

(١) ممَّا كُتب عنه:
١ - الشاعر البائس عبدالحميد الديب، عبدالرحمن عثمان، مكتبة دار العروبة، مصر، ص ٢١٦، ١٩٥٨.
٢ - الشاعر عبدالحميد الدِّيب، حياته وفنه، د. عبدالرحمن عثمان، ١٩٦٨، دار المعارف بمصر ص ٣٠٠، من القطع الصغير.
٣ - ديوان عبدالحميد الديب، شاعر البؤس، تحقيق ودراسة محمد رضوان، المجلس الأعلىٰ للثقافة، ص ٣٢٨، عام ٢٠٠٠.
٤ - وممن ترجم له
وكان معاصراً له الأستاذ فتحي رضوان في كتابه (عصر ورجال)، ط. ١٩٦٧، مصر.

مجهول المكانة لا يدرك فضله حتى أقرب الناس إليه وكان المسكين يتكسب لا يمدح الناس بالقصائد الطنانة الرنانة كما يتصوّر كثير من الناس فإن مرحه لم يكن مما يستهوي الممدوحين ويدفعهم إلى البذل والعطاء، بل إنه كان يعيش على القطرات القليلة التي كان يجود عليه بها إخوانه الأدباء والشعراء ممن يعرفون منزلته ولكنهم وقد أدركتهم[1] حرفة الأدب لا يستطيعون أن يبللوا يده إلَّا بأمثال هذه القطرات، كان يعيش على ما يكسبه من بعض المتبطلين الذين كانوا يجلسونه معهم على المقاهي ليتخذوا من بؤسه وعدمه سخرية يتفكهون بها، وفقد

(١) كنايةً عن الفقر.

أقول: وممن ألَّف موضوع ارتباط الأدب - غالباً - بالفقر:

أ - الدّلجي (قديماً) في كتابه (الفلاكه والمفلوكون) طبع عدَّة طبعات.

ب - طاهر أبو فاشا (الشاعر الأديب) في كتابه الذين أدركتهم حرفة الأدب.

جـ - الأديب السَّفير (السُّعودي) الأستاذ صالح الغفيلي في كتابه (شعراء ماتوا جوعاً).

تـردد المسكين في أول أمره أن يكسب عيشه بهاتين الوسيلتين وأخذ يصيح:

وكم مرت النعمى على بسيمةً

فأبعدني عنها وضيع الوسائل

ولكنه ما لبث أن راض نفسه على ما تكره، لعلَّ ذلك يخفف عنه بعض ما يلقى من قسوة العيش وشظف الحرمان.

سمعت بالديب قبل أن أراه ورأيته أول مرّة في دار مجلة «أبولو» للشعر التي كان يصدرها المرحوم الدكتور/ أحمد زكي أبو شادي في أوائل العقد الثالث من هذا القرن[1]، حين دخل علينا رجل في الخامسة والثلاثين من عمره تقريباً يلبس ثياباً، أتى الزيت

(١) بالفعل صادفتني قصائد عديدة للديب في مجلة «أبولو»، ولكنها للأسف كانت من غير (صورته) كعادة «أبولو» غالباً في إثبات صور الشعراء والأدباء مع إنتاجهم، وقد بذلت جهدي بالبحث عن صورة (فوتوغرافية) للديب لإثباتها في ترجمته فلم أجد!

والوسخ على معظمها وطربوشاً لم يعرف إلى الكيّ سبيلاً منذ أمد بعيد دخل وحياً في صوت خافت يمتزج بالحياء فقدمه الدكتور/أبو شادي إلى الحاضرين فرحبوا به وبعد أن اطمأن به المكان أخرج من جيبه ورقتين عليهما قصيدتان من شعره قدمهما إلى المجلة فقرأهما أبو شادي على ملأ الحاضرين، وأخذ يثني عليه ويسأله مزيداً من القصائد لمجلة «أبولو» والديب يفضي حياءً من الإطراء، وبعد قليل أخذه أبو شادي إلى ردهة كانت تتصل بالحجرة وأعطاه جنيهاً رآه الحاضرون جميعاً، وعاد كل منهما إلى مكانه، وما لبث الدّيب أن غادر الدَّار مسرعاً.

هذه أول مرّة رأيت فيها الدَّيب رأي العين، وكان وجهه شاحباً شديد الشّحوب وجسمه ناحلاً، كأنه هيكل من العظام، زائغ العينين لا يستقر على منظر وعلى اتجاه.

ثم رأيت الديب بعد ذلك مئات المرات، رأيته في غرفة رئيس تحرير «الأهرام» الأستاذ/أنطون الجميل ورأيته في مكتب خليل مطران في الجمعية الزراعية، ورأيته يجلس على بار اللواء مع كامل الشناوي وأحمد الصاوي[1] وحفني محمود الوزير السابق، ورأيته مرة يقف في شارع شبرا على باب الصَّيدلية التي تقع تحت عيادة الدكتور/ناجي وهو يرفع يده إلى السماء يدعو على ناجي بالخراب والدمار ويقول: «نصف جنيه فقط

(١) روىٰ لي شيخي الأديب الشاعر الراوية (عبدالله الحافظ) رحمه الله تعالىٰ وعافاه هذه الحكاية ذات مرة:

أن الشناوي أراد أن يتوسَّط للديب عند الصاوي ليوظفه وكانوا – كما ذكر الأستاذ العوضي الوكيل – يجتمعون في بار اللواء – وكما هو واضح أن الدِّيب سريع الغضب متقلّب المزاج – قام بهجاء الشِّناوي:

فقال: بار اللواء لُعِنْتَ بالشناوي.

وتلفّت يريد أن يكمل البيت فشاهد الصاوي أمامه فأكمل:

ورُزِئْتَ قبلاً بالثّقيل الصَّاوي!

فقالا له: والوظيفة.

فقال: ماذا أفعل (الشعر ألحَّ عليَّ)!

يا كافر[1] مع هذه العشرات والمئات مع المرضى تزخر بهم العيادة ويندفع إلى جيبك من جيوبهم طوفان من المال! لعنك الله....» وفهمت منه أنه سأل ناجي معونة فأعطاه خمسين قرشاً فسخط عليه كل السخط واستنزل عليه اللَّعنات.

ورأيته قبل وفاته بأيام في دار المرحوم إبراهيم دسوقي أباظة «باشا» وقد احتفى به الباشا وأكرمه ومدَّ له خوان عشاء فاخر وجلست معه على المائدة بدلاً من الباشا الذي جلس معنا دون أن يأكل يستمع إلى قصيدة من الديب في مدحه مطلعها:

جابر المحروم وهَّاب المنن
جبر الله به كَسْرَ الوطن
أنت إبراهيم ثاني نابغ
فجع الكفار في قهر الوثن

وذلك لمناسبة فوزه في إحدى المعارك الانتخابية.

---

(١) لا يجوز رمي المسلمين بالكفر هكذا جزافاً، لمجرد الغضب!

وأذكر أن الديب أحرق بسيجارته مفارش السُّفرة، فلما هَمّ الخَدم أن يغضبوا قال الباشا: إن الدِّيب لو أحرق المنزل كله فلا مُلام ولا تثريب. وقال الدِّيب ليلتها للباشا إنه عاش محروماً من رؤية الملاهي والمراقص وأنه لو رآها لقال فيها شعراً يحيا بمثله شعراء العصر، فأعطاه الباشا عشرة جنيهات.

وكانت في ذلك الوقت مبلغاً كبيراً لأنها كانت تعادل مرتب خريج الجامعة المحظوظ في ذلك الأوان.

وحين انصرفنا معاً من المنزل سألني الدِّيب كم يملك الباشا من الأموال والعقار، ولما قلت إنه يملك ثلاثمائة فدان وبعض القصور، قال: خرب الله بيته، ومع ذلك يعطيني عشرة جنيهات فقط، والله لأقولن فيه هجاء لم أسبق إليه... ثم سمعته بعد أيام ينشد:

أبلغ أباظة عني أنهم ورثوا
مالاً ولم يرثوا ديناً ولا خلقا[1]

---

(١) هذا من نكران المعروف، كفانا الله تعالىٰ شرَّ الجحود.

ورأيت الديب في غير هذه المرات ينام على أحد الكراسي في مقهى الفيشاوي، أو على حصير بمسجد العيني يقرب الأزهر أو في الشارع على أحد الأرصفة ولكنني لم أكن أشعر أنني رأيته حتى لا أجرح كبرياءه.

كان الديب رحمه الله من طراز فريد من الناس، فأنت إذا أعطيته عشرة قروش مثل بادر فوزعها على زملائه الشحاذين والمتوسلين والفقراء في حي سيدنا الحسين رضي الله عنه. وإذا أنت جدت عليه بثوبين من ثيابك القديمة اختار لنفسه أحدهما ثم مضى يبحث عمّن يستحق الثاني من أصحابه ورفاقه في البؤس والمسكنة ولا يدّخره ليكون احتياطياً للثوب الذي يحمله بدنه..

كان يجالس العظماء ويجالس غير العظماء، ويجعل من مجالسته العظماء سبيلاً للزهو على غير العظماء، يمشي تارة رافع الرأس منبسط الوجه، يلوح في عينيه الاطمئنان والسعادة، وتارة يمشي مكبّاً على وجهه كأنما

يحمل هموم الدنيا كلها على كتفيه قلق النظرات كثير التلفت كاللّص الخائف من مطاردته.

علا به الجد حيناً وابتسمت له الحياة.. كما قال – يوم استطاع أن يكون له غرفة يتخذها مسكناً وإن كانت في بيت خاشع متواضع، يكاد أن يتداعي.

وإن كانت خاوية على عروشها فليس فيها من الأثاث غير عبدالحميد الديب...

يقول عبدالحميد الديب في غرفته تلك:

تراني بها كل الأثاث ولا ترى
سوى قلم ملقى على الأرض أو طرس

وكانت أجرتها تافهة لا تكاد تذكر ولكنها مع ذلك كانت ترهقه من أمره عسراً فكان يعيا بدفعها شهراً بعد شهر، فيندب حظّه ويلعن صاحب البيت حيناً، ويلعن الناس حيناً آخر. وفي ذلك يقول عبدالحميد الديب:

لعنت كراء البيت كـم ذا أهنتنـي
وأذللـت كِبْـري بـين كـل رحـاب
لأجلــك إمــا أن أبيــع كرامتــي
وأمــا أفــدِّيها ببيــع ثيــابي
ثمــانون قرشــاً أهلكتنــي كأنهــا
ثمـانون ذنبـاً فـي سـجل عـذابي

والثمانون قرشاً هذه هـي أجـرة البيـت الـشهرية التـي كان يطالب الـديب بـدفعها، وتمـر الأعيـاد بعبـد الحميـد الـديب كمـا تمـر بكـل فقيـر محـروم لا مـن مـلاذ الحيـاة ومناعم الطعام فحسب، بل من مطالبها الأساسية من لقمة وإدام، فيصب جام غضبه على هـذه الأعيـاد ويتـصوّر دار أهله في الريف، وقد لفها الفقـر والمـسكنة والبـؤس يـوم العيد فيقول:

مـرُّوا علـى الـدار يـوم العيـد ضـيفانا
يتوهبـــون نـــداها كالـــذي كانـــا
والـــدار حـــين رأتهـــم مقبلـــين لهـــا
تعـــاورت بالبكـــا أهـــلاً وبنيانـــا

ليـــت الأنـــام كـــلاب إن كلبتنـــا
لمـــا تـــزل لحفـــاظ الـــورد عنوانـــا
تحملـت قـسطها فـي البـؤس صـابرة
لم تـشك جوعـاً ولـم تَـسْتَجْدِ إنـسانا

ويقول:

عيـــدٌ يطـــالعني والعـــيش منكـــودُ
لَأَنْـتَ يـوم الأسـى والحـزن يـا عيـدُ
يجـدد النـاس مـن لـبس ومـن فـرح
وعنـــدنا للأســـىٰ والهـــمّ تجديـــدُ

ويتزوَّج الديب من امرأة فقيرة لا مال لها ولا عمل فيضيف إلى أعبائه عبئاً جديداً وإلى أثقال الحياة وهمومها طارفاً مع التَّليد وتطالبه بطعامها فيعجز عنه لأنه لا ينال لقمته هو ألَّا بِشَقّ النفس والأغرب من ذلك أنه كان لزوجته هذه طفلان صغيران صحبتهما معاً إلى

الدِّيب وأصبَحَ الديب فإذا هو مسؤول عن طعام أربعة بدلاً من واحد وإليها يتحدث فيقول:

يا ربَّة الدار لا ترثي لأرزاقي
قد قدّر الله إسعادي[1] وإملاقي
تبكين من طول تبريحي ومترتبي
ومن جراحي في قلبي وآماقي

ولا يطول أمد هذا الزواج ويطلق الديب زوجته بمد زمن قصير.

لقي العقاد الديب ذات يوم بالمكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي، وأسمعه الديب بعض شعره، وأثنى العقّاد على موهبته، وقال: إنها تحتاج إلى مداومة الاطلاع والقراءة، فشكا إليه خصاصته وفقره [وإن ذلك لا][2] يتيسر إلا لذوي اليسار القادرين على شراء الكتب،

(١) أعتقد الصحيح (إعساري) لكي توافق سياق البيت.
(٢) إضافة من المحقق.

الكتب، فما كان من العقّاد إلّا أن اشترى له على حسابه أكثر من عشرين كتاباً من ذخائر التراث العربي، وتسلّمها الديب فرحاً ومضى بها، وبعد قليل جاء إلينا من يقول إن الديب قد باع ربطة الكتب بخمسين قرشاً، أي بأقل من عشر ثمنها، وأنه هجا العقّاد ببيت من الشعر يقول فيه:

عبقريُّ الجهل في ثوب أنيقِ
مضحك الكبر كتمثال الطريقِ

وبعد - فهذا هو الديب كما عرفته، شاعر يجيد النقل عن خواطر نفسه في عبارة مشرقة هي أثر تعلمه في الأزهر واختلافه إلى ساحة دار العلوم بعض السنين، ويتقن وصف البؤس والحرمان ويهجو الناس، من أحسن منهم ومن أساء، ويخرج من الدنيا كما دخلها صفر اليدين.

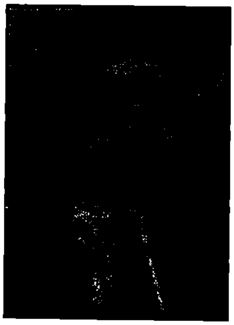
وهذا هو الديب الذي طار صيته بعد موته وكتبت

عنه التايمز كبرى الصحف الإنجليزية بعد أسبوع من وفاته والذي ذاق مرّ الحياة ولم ينل من حلوها شيئاً والذي مات وهو يهتف:

أخلقتني يا رب أم أنا واهمُ
أنا ما خُلقْتُ لأنني لا أُرْزَقُ! (١)

* * *

(١) هذا البيت يعكس نفسية الديب، وهو أسلوب مستنكر بمخاطبة الخالق جل وعلا.



محمد مصطفى حمام
المصدر: ديوانه: آية وفاء

٢) محمد مصطفى حَمَام[(١)]

في ندوة كانت تنعقد بدار الشاعر المرحـــوم حـــسن القايـــاتي[(٢)] بحـــارة

---

(١) عـضو نقابـة الـصحفيين المـصرية، وعـضو مجلـس جمعيـة الـشعراء، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة.

- وُلِدَ في فارسكور بإقليم الدقهلية في ١٨ أغسطس سنة ١٩٠٤.
- تعلم في مدرسة فارسكور الابتدائية، والمدرسة الخديوية الثانوية، ومدرسة المعلمين العليا.
- قضى ستة وعشرين عاماً في وظائف الدولة في وزارات مختلفة، مشتغلاً في الوقت نفسه بالصحافة والأدب، ثم استقال من الخدمة الحكومية في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥٢، ليفرغ للصحافة والأدب.
- عمل في أكثر صحف مصر اليومية، وأصدر عدداً من المجلات السياسية والأدبية، وهو الآن رئيس تحرير صحيفة «الرياض» بالقاهرة، ومحرر في عدد من مجلات مصر والأقطار العربية الأخرى، وصوته يسمع بين حين وآخر من إذاعة القاهرة ومن إذاعة مكة. (هذا ما ورد في خاتمة ديوانه: آية وفاء).

(٢) (١٨٨٢ – ١٩٥٧) شاعر مصري فحل، وكاتب بليغ من كبار أدباء العصر وشعرائه (مصادر الدراسة الأدبية مع الاختصار).

السكرية بالقرب من بوابة المتولي بالقاهرة، وفي السنوات الأولى من العقد الثالث من هذا القرن سمعت شاباً ينشد الشعر في رتم عذب وترتيل جميل، ثم ما لبث أن تحوّل إلى الزجل والموال، وبعد حين أخذ يغني بصوت قوي حسن، وترك ذلك كله وأخذ يتلو آيات من القرآن الكريم مقلداً أصوات كبار القارئين المبدعين، تقليداً يأخذ بالألباب لفرط جودته ودقّة تمثيله لأصله وقد أعجبت بهذا الشاب متعدد المواهب جداً.

وسألت عنه فقيل أنه محمد مصطفى حمام... فتوددت إليه وخرجنا معاً بعد انتهاء الندوة، لأن طريقنا كان واحداً، فإذا نحن كأننا أوداء أحباء منذ عهد بعيد وإذا هذا اللقاء وهذا المسير بداية صداقة متينة ظلّت وثيقة العرا حتى قبض الله إليه محمد مصطفى حمام سنة ١٩٦٤[١].

---

(١) ذكره العلامة الزركلي فقال: توفي رحمه الله ودفن في (الكويت).
أقول: وكما ذكر لي أستاذنا الأديب الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري على ما أتذكَّر – رحمهما الله تعالىٰ، وكما أكَّد لي أستاذنا الأديب المخضرم الشاعر فاضل خلف، وقد التقى به، وقد وُلِدَ عام ١٩٠٤.

وأذكر أن القصيدة التي غنّاها في تلك الليلة كانت من نظم صاحب الدار ومنها:

هتفت[2] باكية يوم الظعن

ليت هذا الوجد لم يغلب «حَسَنْ»

---

(١) أقول:

١ - بالإضافة إلى «آية وفاء».

٢ - له ديوان حمام للشاعر محمد مصطفى حَمَام في سلسلة المكتبة التراثية الهيئة العامة المصرية للكتاب عام ١٩٧٤، بتقديم العوضي الوكيل، وهي نفس هذه الترجمة (في هذا الكتاب)، كما قدّمت له ابنته عزيزة مصطفى حَمَام ديوان يقع في أكثر من ١٥٠ صفحة.

٣ - تم طبعة أخرىٰ صادرة عن (مطبوعات تُهامة) في المملكة العربية السعودية، تقع في أكثر من ٣٠٠ صفحة ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- وقد أورد ترجمته قاموس الأدب العربي الحديث وكتب مادة ترجمته الأستاذ حسين عبدالعظيم ص: ٥٢٧ - ٥٢٨.

وأضاف أن له: ديوان من المحيط إلى الخليج (١٩٦٠) وديوان «الكويت» ١٩٦٤؟!

- ومما ورد في آخر ديوانه (آية وفاء) أنه سيصدر قريباً له:

١ - (للدين والدنيا) ديوان شعر يحتوي على طائفة من القصائد الدينية والاجتماعية.

وفيها يقول القاياتي:

إن في الناس لموتى يتقى
موتهم ضنا عليهم بالكفن

ولم تكن القصيدة قد لحنت من قبل ولا غنّاها أحد من كبار المغنين أو صغارهم ولكن حماماً رحمه الله ارتجل لها لحناً أخذ بمجامع القلوب وصفق له الحاضرون طويلاً.

وشهدت مصطفى حمام بعد ذلك كثيراً في الجلسات والندوات الأدبية والندوة التي يحضرها حمام، يملأ زمنها كله، ولا يكاد يترك لغيره فرصة للحديث والناس يعجبون لرجل يروي الأشعار لكل شاعر ومن كل عصر

---

٢ - الإسلام والمسلمون في عام ١٣٧٨ هجرية.
٣ - ألوان من الفكاهة.
٤ - مجالس الأنس.
٥ - شعراء قلب الجزيرة (يتحدث عن ٤٠ شاعراً معاصراً من أبناء قلب الجزيرة، بالاشتراك مع طاهر زمخشري).

والطرف والنوادر والفكاهات من كل زمان ومن كل مكان ويتحدث في النحو، فإذا هو سيد الموقف يجلو دقائقه ويحقق حقائقه، وإذا انتقل الحديث إلى القرآن والفقه والحديث كان حاضر الجواب جميل الخطاب - مع أنه لم يدخل الأزهر ولم يختلف إلى مدرسة من مدارس الدين لم يأخذ عليه أحد يوماً أنه طعن في شاعر أو هاجم أديباً فالكل عنده شعراء مفلقون والكل عنده أدباء مجيدون فهو مجامل لطيف المجاملة تستطيع أن تدرك رأيه من ثنايا كلامه دون أن يؤذي أحد بكلمة.

لقد عرفت مصطفى حمام قرابة اثنتين وثلاثين سنة. وكانت آخر رسالة كتبها في الكويت، وألقى بها في صندوق البريد قبل وفاته بيوم واحد، كانت إليّ وتسلمتها بعد وفاته، عرفته طيلة هذه السنوات فلم أسمع منه لفظاً خارجاً أو كلاماً فاحشاً.

تعلّم حمام في المدارس الابتدائية ثم سمعه السلطان حسين يلقي قصيدة من الشعر وهو غلام حدث فقرر أن

ينفق على تعليمه وأدخله المدرسة الخديوية على نفقة الخاصة السلطانية حتى إذا قامت الحركة الوطنية في مصر سنة ١٩١٩ بقيادة الزعيم سعد زغلول انضم حمام إلى الثوار خطيباً وشاعراً وزجالاً وكاتباً، فما هو إلَّا أن طرد من رعاية السلطان ومن المدرسة، ولكنه استطاع مع ذلك أن يحصل على شهادة البكالوريا، وأن يجد بها وظيفة ينال بها رزقه راضياً قانعاً بما قَسَم الله له، ومع أنه يعد من الأدباء البائسين إلا أنه كان لا يحمل حقداً أو موجدة على غني أو ذي مال أو نشب، فإن نال من خيرهم شكر وقدَّر وإن لم ينل حمد الله ودعاه.

حدثني رحمه الله أنه احتاج إلى خمسة جنيهات فأخذ طوف بالأصدقاء والأدباء مقترضاً أو مسترفداً حتى ظفر بها بعد سعيٍ أكلَ يومَهُ كلَّه وحين مضى بها إلى بيته أمسك بها بين يديه وهو يعبر جسر قصر النيل فأطارتها الريح من يده إلى النهر ووقف حمام ينتظر مبهوتاً وحوله طائفة من الناس تتأمل المشهد العجيب.

وقد عرف الجميع في محمد مصطفى حمام قدرته الفائقة على تقليد أصوات تقليداً لا يميزه سامع من أصله واستغل حمام هذه القدرة الفائقة في المداعبة والمفاكهة واستغلها مرة في إصلاح ذات البين بين الأستاذ العقاد والأستاذ محمد توفيق دياب رحمهما الله، فقد طلب العقّاد في التليفون على أنه دياب واعتذر له، ثم طلب دياباً في التليفون على أنه العقّاد واعتذر له وعادت المياه إلى مجاريها بينهما بعد هاتين المكالمتين الهاتفتين.

استكتبته الأستاذ المرحوم مصطفى القشاشي صاحب مجلة «الصباح» فكتب عدّة مقالات اتَّهَمَ فيها أدباء العصر جميعاً بالسطو على معاني الشعراء القدامى فقال: إن العقاد مثلاً أخذ هذا المعنى من الشاعر فلان الأموي وقال: إن الجارم اقتبس هذا المعنى من البحتري وهكذا ولم يكن هناك أخذ ولا سطو ولا اقتباس. وإنما كان حمام رحمه الله يأخذ معنى العقاد فيصوغه صياغة محبوكة مسبوكة تشبه صياغة شاعر معين ثم ينسبه إليه ويدعى أن العقّاد قد أخذ ويفعل هذا مع علي الجارم

وأحمد رامي وعبدالرحمن شكري وغيرهم، وانتهت المسألة بعد البحث والتمحيص على أنه مداعبة من مداعبات حمام كشفت عن قدرته على تقليد الأساليب.

وفي هذا الباب تروى الطرفة التالية التي كانت لها صدى في الحياة الأدبية في زمنها.

كان الشاعر محمود حسن إسماعيل ينشر شعره في صحيفة الدستور لصاحبها الصحافي الأديب المرحوم محمد خالد. وكان خالد رحمه الله صديقاً لمحمود حسن إسماعيل كما كان شديد الإعجاب بشعره. وكان محمود في تلك الفترة يكتب أشعاره ويرسلها للصحف على ورق أحمر هفهاف وبمداد أخضر صاف، والمعروف أن شعره كثير الاستعارات والكنايات والرموز فأحضر حمام ورقاً أحمر ومداداً أخضر وكتب قصيدة عنوانها «لحن الصخور» ووقعها باسم «محمود حسن إسماعيل» فأرسلها إلى الأستاذ/محمد خالد وهذا أرسلها بدوره إلى المطبعة دون أن يقرأها ونشرت القصيدة في صدر صحيفة الدستور في اليوم التالي ثم نشر محمود براءة

منها وتكذيباً في اليوم الثالث وهذا طرف من قصيدة «لحن الصخور» ننقلها عن صحيفة «الدستور»:

رقص البدر على لحن الصخور
يا سماء في جبال من بحور
وبحوراً في صخور من زهور
قد حبسنا الجوَّ فيها فانطلق

* * *

نامت الأمواج في حضن الفلك
وانتشى الطاووس من ماء الحلك
وارتمى الشيطان في جوف الملك
واستبقنا النور حبواً فاستبق
رقص الليل على جسر الأبد
وتدلى الصبح من رجل الأسد
وارتقينا القاع من غير عمد
وشربنا النجم في كأس الشفق

* * *

الهيـــولي فـــي مزاميـــر الأزل
تـسكب الحـزن وللحـزن غـزل
صـعد القلـب عليهـا ونـزل
وتـردى المـاء فيهـا فـاحترق

* * *

يا هزيج الوجد في مسرى العصور
جف ريـق الحب فـي ثغـر الأمـور
ولقد كانت - وما كانـت - عطـور
تلمـز الغيـب إذا الغيـب نفـق[1]
صـلوات ذبحـت فـي معبـدي
وسـكارى الهـمِّ[2] أو مـا باليـدِ
والـرؤى لـيس لهـا مـن مـسعد
غيـر فجـر جلـدوه فـانفلق

* * *

(١) لم يفهم المراد من ذلك ؟!

(٢) كتب بالأصل «الهموما»! وبهذا يختل الوزن، وهي خطأ طباعي غالباً.

وتـزوج حمـام رحمـه الله أربـع زيـجات جمـع بيـنهن جميعاً حتى مات وأنجب منهن جيشاً جحفلاً مـن الأولاد والبنات، واتخذ لكـل مـنهن بيتـاً فـي طـرف من أطـراف القاهرة الأربعة، فهذه في مصر الجديـدة، وتلـك فـي حـي الخليفة، والثالثة في الدقي، والرابعـة فـي مـصر القديمـة، كأنمـا أراد أن تكـون القـاهرة وضـواحيها كلهـا بيتـاً لـه.. وسألته مرة عن سبب هذا الـصنيع فقـال لـي: يـا صـاحبي ليست هذه زيجات بقدر ما هي مروءات.

وعثرت بعد ذلك على قصيدة له فـي تعـدد الزوجـات يقول فيها:

ومــن يعــدد زواجــاً دون ملجئــه

فقـد أتــى بـضرار أو أتــى ضــررا

لــيس التعـــدد إلَّا رخـــصة فـــإذا

أسرفت فيها ركبت الحمق والخطـرا

مــن ينــتقص حــق أولاه لثانيــة

لـم يلـق مـن ربـه عفـواً إذا اعتـذرا

وفـي التعـدد أن أدركـت حكمتـه
بـر ورحمـى وجبـر للـذي كـسرا
مـن للمطلقـة الحـسناء يعـصمها
وللعـوانس تفنـى عمرهـا ضـجرا
وللأرامـــل والأحـــزان تعـــصرها
والحزن يفتك بـالأعواد أن عـصرا
ومـن لام اليتـامى هـل تفوتهمـو
بالحـد معتـصراً والقـد مهتـصرا
ومـا الغطـاء لمـن زلـت وسـاورها
من الفـضيحة طيـف يرسـل النـذرا
ومـا الـسبيل إلـى ذريـةٍ نُجُـبٍ
إن كُنْـتَ زوجَ عقـيمِ حَظُّهـا عَثَـرا
هو التّعدّد كم آوى اليتيم وأشـباه اليتـيم
وكـــم واســـىٰ وكـــم ســـترا
هو الحلال الذي ينفي الحرام وكم
حمى من الفحش أنثى أو حمـى ذكـرا

عـدد إن اسـطِعْتَ لكـن عـادلاً لبقـاً
لا تعطين الهـوى سـمعاً ولا بـصرا
واحكم رعاياك بالحب الـصحيح تجـد
مَغْنــاكَ لا غيــرةً يــشكو ولا غِيــرا
لا تخشوا الفقر كم من أسرة شـبعت
عــزا ومــالاً وفــرد خــاب وافتقــرا

وحمام هنا محام قوي الحجة بارع التدليل على صحة نظرية اعتنقها هو، ولذا نراه يتحمّس في محاولـة إثبـات صحة رأيه بمختلف الأدلة والبراهين.

كان حمام صاحب موهبة ثَرَّة تفيض بالفنون فيـضاً لا يحتاج الأمر معها إلى تمهيد أو تهيئة فما هـو إلَّا أن تبـدأ حتى يتنـزل عليـه وحـي الفـن بمـا شـاء الله مـن الطرائـف والبدائع.

ولـك أن تقـول إن شـعره كلـه مرتجـل، لأن القـصيدة الطويلة لا تأخذ منه ساعة من الزمان، ولأنـك ترجـع إلـى

أصولها بين يديه فإذا كان كما وردت على خاطره أول مرة دون تغيير أو – تبديل، اللَّهُمَّ إلَّا نزراً قليلاً لا يعتد به. كلمة هنا وكلمة هناك مما يجعل الأمر ارتجالاً لا شك أنه أعلى مرتبة من ذلك الارتجال الذي سمعناه عن الشاعر العراقي المرحوم عبدالمحسن الكاظمي الذي يبهر الناس بارتجاله حينما كان نزيل مصر في السنوات الأولى من هذا القرن.

رأيت العقّاد مرة يستدنيه من مجلسه ويقول: هذا كتاب من الشعر والآداب والفكاهة والفن لا يجد الناس منه إلا نسخة واحدة! وكان يستنشده ويعجب به ويثيبه.. ومن عجائب الاتفاق أن يموت حمام في الكويت بعد وفاة العقاد في القاهرة بعشرة أيام حين ضمهما رحاب الله هذا في الثالث عشر من مارس سنة ١٩٦٤ وهذا في الثالث والعشرين منه.

والإسلاميات في شعر حمام كثيرة والقومية العربية في آثاره شعراً وزجلاً واضحة تلحظ في هذه أو في تلك

عمق الإيمان وصدق التجربة الشعورية. مع أسلوب تستطيع أن تنسبه إلى الشريف والبحتري والمتنبي وجرير وأضرابهم من الفحول.

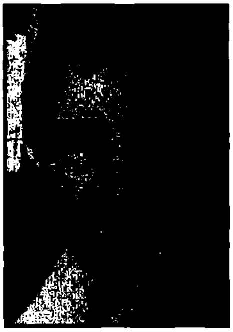
عمل حمام كاتباً في المحاكم ثم عمل وكيلاً للبريد - كأنما أراد أن يخلف أبا تمام الذي ولي بريد جرجان[1] واشتغل صحافياً ثم ترك خدمة الحكومة وجال في بعض البلاد العربية حتى وافاه القدر المحتوم في فندق من فنادق الكويت فانطفأت بذلك شعلة من الأدب، وسكن قلب كبير يمتلئ بحب الناس.

كان حمام سمحاً سهلاً يحب السمح السهل من كل شيء، ولذلك كان ينعي على بعض الشعراء اختبار الألفاظ الحوشية والمعاني المبهمة فينظم أشعاراً في السخرية بهم وينشرها واضعاً اسم صديقه اللغوي عبدالعزيز الإسلامبولي تحتها ومن ذلك قوله:

(١) ولي بريد الموصل - رحمه الله تعالىٰ - وقبره ما زال هناك.

بالقعـــــصليات أم بالعنــــصليات
وبــــالعرانج أم بالخـــــشرفياتِ
يا دهـر هـل مـن فخاشـيس منكْكُـة
تبــأبي الرفــل إلَّا فـــي الطــراراتِ
اســتغفر الله أفغــاتي مُــدَ عَــشْرَةٌ
وفــي الــشناتير اســكاح الهُبــيلاتِ
وربمــا مغَّـــصتني وهـــي قرعبـــة
واضطرعت هي في دنيا العتلَّاتِ
قل للطفاطيف إن الصقب جاوزهم
يا للطفاطيف من مـاضٍ ومـن آتِ!

* * *



كامل الشناوي
المصدر: مجلة الهلال
عام ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦

٣) كامل الشناوي[(١)]

قرأت لكامل الشناوي قبل أن أعرفه قصيدة في مجلة «الرسالة الأولى» التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ/ أحمد حسن الزيات، والذي أذكره أنها كانت في شكوى الزمان ومطلعها:

ثم ماذا يا دهر هل من جديد
أجتني منه لوعتي وشقائي

ولم تكن القصيدة ذات معان نادرة أو صياغة باهرة، فلم تلفتني إليها كثيراً، ثم رأيته بعد ذلك في مجلس

(١) أعتقد أن أفضل من كتب عنه الأستاذ يوسف الشريف - رحمه الله تعالىٰ - في كتاب بعنوان: [كامل الشناوي آخر ظرفاء ذلك الزمان]. صدر منه عدَّة طبعات، منها طبعة «دار أخبار اليوم» وهي الطبعة الثالثة في ٢١٦ صفحة.

العقّاد بمكتبه بجريدة «الجهاد» التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ/محمد توفيق دياب، وكان العقّاد محررها الأول، وقد قدّمني العقّاد إليه وقَدّمه إليَّ فتعارفنا ولم يلفت نظري شيء غير عادي فيه، اللهم إلَّا أنه كان ضخم الجثة عريض الجبهة غليظ الشفتين، كبير الأذنين، ولم يلفتني شيء؛ إذ كان الشناوي في مجلس العقّاد نزر الحديث، قليل التعقيب، وكان قليل السؤال أيضاً.

لكنني رأيته بعد ذلك على مقهى الفيشاوي في ليلة من ليالي رمضان، وحوله طائفة من الأدباء وشداة الأدب والشعر، وقد بهر الجميع ليلتئذ مفاخر محفوظه من الشعر والنثر والأمثال والنوادر وقصص الأدباء والشعراء والعلماء، يرويها في أناة الواثق ونبرة المتأنق[1] وحديث العالم المتأني والناس يستمعون إليه صامتين وهو يملأ عليهم زمانهم ومكانهم بما كان يرويه..

(١) وردت في الأصل المتأنّف!

وفي تكريم الأستاذ العقّاد بمسرح حديقة الأزبكية حوالي سنة ١٩٣٤ لمناسبة نظم النشيد القومي الذي يقول في مطلعه:

قد رفعنا العلم للعلا والفدا في ضمان السماء
حي أرض الهرم حي مهد الهدى حي أم البقاء

* * *

كم بنت للبنين مصر أم البناء من عريق الجدود
أمة الخالدين من يهبها الحياء وهبته الخلود[١]

* * *

في حفل التكريم هذا سمعت كامل الشناوي ينشد بعض أشعار القصائد إنشاداً جميلاً سمعته ينشد بعض قصيدة ترجمة شيطان[٢] فوقعت في نفسي معانيها بعد أن كنت لا أستطيع إكمال تلاوتها.

---

(١) قد يكون يعني بقاء الذِّكر إلى حين...!

(٢) (؟).

وفي سنة ١٩٣٥ شاءت ظروف السياسة الحزبية في مصر أن يخرج العقّاد على الوفد، وأن يستقل بإصدار صحيفة تنطق باسمه وتعبّر عن رأيه، مستقلاً عن الأحزاب السياسية، والتف الشباب حول العقّاد وبخاصة الأدباء منهم والشعراء، فأفرد العقّاد صفحة كاملة للشباب ينشر فيها أشعارهم وكتاباتهم التي تعلن تأييدهم لموقفه من الوفد ومن القضية الوطنية. هنالك اختار العقّاد كامل الشناوي يشرف على صحيفة الشباب، وينشر من رسائلهم إلى العقّاد ما يراه مناسباً لمقتضى الحال، وحدث أن شكا إليَّ بعض الشباب أن كامل الشناوي لا ينشر في صفحته إلَّا لأصدقائه والمقربين إليه فيستوفي بهم أعمدتهم دون أن ينشر لأحد غيرهم إلَّا في القليل النادر.

فكتبت إلى العقّاد رسالة شخصية أشرح له فيها الموقف، وأندِّد بما يصنعه كامل الشناوي في صفحة التأييد، وأرجو العقّاد أن يتّخذ معه إجراءً صارماً يردّه

عمّا يصنع، حتى ولو كان هذا الإجراء هو طرده من خدمة الصحيفة، لكن الرسالة لم تصل إلى العقّاد؛ إذ ظنّها عامل بريد الصحيفة من رسائل التأييد، فدفع بها إلى كامل الشناوي فقرأها، وكان مأزقاً أوقعتني الظروف فيه.

ولقيت كامل الشناوي بعد ذلك مرّات في صحيفة «روز اليوسف اليومية»، ثم في مكتب الأستاذ/أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام حيث تحول كامل الشناوي بعد أن أغلقت صحيفة «روز اليوسف اليومية» أبوابها. فكان كل منا يحيي صاحبه بالإيماء دون زيارة، وانقطع الوداد والعتاب، وأصبح التلاقي عابراً لا معنى له ولا دلالة فيه، وصار كل منا في حاشية الشعور بالنسبة للآخر، لكنه مع هذا - رغم ما كان يشتهر به من حدّة وشدة - لم يطلق لسانه فيَّ بقبيح، ولم تنلني قوارص كلمه، فحمدتها له وعددتها من مزاياه النفسية والخلقية وقابلت صنيعه بمثله، فلم تنفرج شفتاي عن كلمة سوء في شأنه، إلَّا ما كان من أمر هجائه للشيخ مصطفى

عبدالرازق وزير الأوقاف، ثم شيخ الأزهر بعد ذلك، فقد رددت عليه في لهجة أشبه بلهجته في هجاء الأستاذ الأكبر رحمه الله.

وكان من أسباب هذا الهجاء أن الشيخ الوزير عرض عليه أمر تعيين شقيق كامل الشناوي محامياً شرعياً في الوزارة فرأى الشيخ أن يعين في الوظيفة من هم أدنى إلى استحقاقها من شقيق كامل الشناوي.

ولكننا مع ذلك كنا نلتقي ونتبادل التحية الموجزة الهامسة كأن شيئاً من ذلك كله لم يكن.

ولئن يكن لكامل الشناوي من فضل على الحياة الأدبية في صدر حياته ففي إبراز اسم عبدالحميد الديب برواية أشعاره ونوادره وتقديمه إلى الناس في المحافل والمجالس والمنتديات.

وكان عبد الحميد الديب كثيراً ما يأوي إلى بيت الشناوي يلتمس لقمة أو يبيت ليلة.. أو في إحدى

الليالي أخذه كامل إلى السرير الذي سينام فيه، وكان على السرير لحاف، وأخذ الشناوي يقدم كلاً منهما إلى الآخر كأنهما غريبان يتعارفان قائلاً: «هذا هو الشاعر عبد الحميد الدِّيب وهذا هو لحاف يتغطى به من ينام!».

وذاعت بعد ذلك شهرة كامل الشناوي في الأسمار والأحاديث، واستدناه العظماء والوزراء من مجالسهم وسهراتهم، وعلا نجمه، وبسبب هذه الصلات دخل مجلس النواب نائباً عن أحد أحياء القاهرة، مستقلاً عن الأحزاب، لكننا لم نلحظ له في مجلس النواب نشاطاً يمكن أن يضيف جديداً إلى التعريف به.

قلنا: إن كامل الشناوي كان سكرتيراً للعقّاد في صحيفته اليومية، وقريباً من نفسه شديد القرب، فهل يعلم المستمع الكريم أنه كان واحداً من أقرب تلاميذ أحمد شوقي إليه وأكثرهم لزوماً لندواته وسهراته وأغزرهم حفظاً لأشعاره وقصائده وأشدهم تمسكاً بمذهبه في القول، وكانت الناس تلتمس شوارد شوقي عند كامل الشناوي أو الدكتور سعيد عبده أو محمد

مصطفى حمام، واستفاضت شهرة كامل الشناوي بعد ذلك فصار رئيساً لتحرير كبريات الصحف القاهرية كالجمهورية وأخبار اليوم، فأوجد للكتابة الأدبية في كل منهما مكاناً فسيحاً وجعل لأخبار الأدب أهمية صحفية، يحسن صياغتها وجاذبيتها ولطف دلالاتها ولا أحسب أنه مع تشيّعه لأحمد شوقي، وكونه من كبار تلاميذه ومريديه قد عق العقاد أو أدب العقاد يوماً، بل ظل على مودته له وولائه لأدبه وشعره حتى مات، وحين مات العقّاد رثاه كامل الشناوي بكلمة بليغة تأخذ من أغوار نفسه أساها وتكاد تقطر الحروف فيها دماً على فقد العقّاد.

وكان كامل الشناوي صديقاً حميماً للكاتب الصحفي الأديب أحمد الألفي عطية كانا يسهران ويقضيان معظم أوقاتهما معاً، ودخلا مجلس النواب معاً، وكانا يشتهران بالفكاهات والنوادر و«المقالب» وحين جاءهما الموت جاءهما معاً فماتا في يوم واحد، كأنما كانا في الموت على ميعاد لم يخلفاه. رحمهما الله..

حدثني كامل الشناوي رحمه الله أنه كان في إحدى الحفلات يجالس صديقه الأستاذ/ناصر النشاشيبي الذي كان يومذاك يعمل بصحيفة «الجمهورية القاهرية» فدخلت إحدى المدعوات الجميلات فسأل النشاشيبي صديقه الشناوي عنها. وكان لا يعرفها فبادره كامل الشناوي قائلاً: «إنها فلانة الأديبة الشاعرة وكانت فلانة هذه قبيحة مبالغة[1] في القبح»، فقال النشاشيبي: عجباً لها ولم يتحدث عنها، إنها جميلة حقاً كما رأيناها الآن، ومع هذا فهم يقولون عنها إنها أقبح خلق الله يكاد قبحها يغشى أنفس الناظرين إليها، ثم استطرد قائلاً: وإنها لتحاول أن تقابلني في مكتبي منذ مدة وأنا أتهرّب من قبحها ومضى من غده فكلف سكرتيره أن يدعوها إلى لقائه فحضرت فإذا هي القبح مجسماً، وإذاً الأمر لم يكن إلَّا «مقلباً» من مقالب صديقه الكبير كامل الشناوي.

(١) !؟

نشأ كامل الشناوي في أول أمره أزهرياً كأبيه الذي كان يعمل بالقضاء الشرعي وكعمه الذي وصل إلى أرفع المناصب الدينية في مصر ألا وهو منصب شيخ الجامع الأزهر، وكثير من أفراد أسرته، ولكنه كان ميّالاً إلى الأدب والشعر بفطرته، يحب اللهو وينصرف إليه فلم يصبر على حلقات الدروس، ولا على هوامش الكتب الصفراء وعنعناتها، فلم يكمل تعليمه، ولكن بقي للأزهر الشريف وعلومه أثرهما في أسلوبه النثري والشعري الصافي السبك الجيد الصياغة، الذي يمتاز بالإيقاع والجرس وأحسن اختيار الكلمات، ولذلك نجحت أغانيه نجاحاً باهراً حينما لحنها كبار الملحنين كعبد الوهاب وغنّاها كبار المغنين والمغنيات كأم كلثوم وعبدالحليم حافظ ونجاة الصغيرة ومن أمثلتها أغنيته الشهيرة «لا تكذبي» التي يقول فيها:

لا تكذبي إني رأيتكما معاً

ودعي البكاء فقد كرهت الأدمعا

ما أهون الـدمع الهتـون إذا جرى
مـن عـين كاذبـة فـأنكر وادعـى

كان كامل الشناوي رحمه الله واحداً من الآحاد الـذين تفرّدوا بملكة الرواية والسمر وحلو الحديث حتـى كانـت مجالسه تمتد كل ليلة إلى ما بعـد مطلع الفجـر ويمـضي النهار في عمله الصحفي، فلا يكـاد يجـد بعـد ذلـك وقتـاً يتفرّغ فيه لكتابه الشعر، أو لتأليف الكتـب، ولـذلك كـان إنتاجـه قلـيلاً لا يتناسـب مع منزلتـه الأدبيـة التـي نالهـا فـي عـصره عـن جـدارة واسـتحقاق فمعظـم أعمالـه الأدبية والفنية هي مجالـسه هـذه، التـي كـان يجمـع فيهـا أطراف الكلام وأطايب النقد وأفاويق الشعر والنثر تأليفـاً ورواية.

قلت له مرة: أنت تقول:

مــاذا أقــول لأدمــع سفحتها أشواقي إليك

فتأكل الألف من سفحتها وتنطق بها على غير ما نطق أصـحاب اللغـة، فقـال رحمـه الله: إنّ الـشعر الـذي يُلَحّـن ويُغَنّى يتكلل التحلين والغناء بجانب كبير من موسـيقاه،

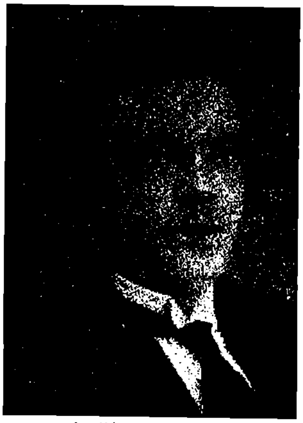
ويبقى أمثال هذا الخطأ مما يمكن علاجه بالتلحين والغناء، وما دام الأمر كذلك فإن رعايته جانب المعنى تكون أمراً لازماً لا مناص منه.

وبعد فمن أي المدارس الأدبية كان كامل الشناوي، لقد كان من مدرسة شوقي وحافظ إبراهيم وفي وقت معاً، أخذ من حافظ حسن مجلسة ونوادره ومفاكهاته، وأخذ من شوقي ديباجته وموسيقاه، وحسن اختياره لألفاظه ونرى أنه على طول صحبته للعقّاد وملازمته إيّاه لم يتأثّر به لا شاعراً ولا كاتباً، ولكنه مع ذلك كان صديقه وحبيبه ومن أوفى الأوفياء له.

وكان كامل الشناوي دعامة من الدعامات التي ارتكزت عليها شهرة بيرم التونسي وهو في المنفى بما كان يرويه من أزجاله ومقاماته، وبما يطرف به السامعين من أخباره ومواقفه الوطنية والشعبية ومنه سمعت لأول مرة قصيدة بيرم التونسي في المجلس البلدي الإسكندري وغيرها من روائعه وفرائده.

* * *

٤) محمود بيرم التونسي[1]


محمود بيرم التونسي
صورة نادرة له في مرحلة شبابه
المصدر: مجلة «أبولو»

لا أذك تماماً متى سمعت اسم محمود بيرم التونسي لأوّل مرّة، وإنما نشأت فوجدتني أعرفه وأقرأ له وأعجب به، ربما كان لظروفه دخل في هذا، فقد سمعنا أنه كان جريئاً شجاعاً هاجم المستعمرين بوضوح، وكتب في هجاء الملك فؤاد أزجالاً عنيفة، فاجتمع الرأي على نفيه من مصر، ليلة عيد الأضحى في العشرينات من هذا القرن، وحيل بينه وبين أهله بعسف المستعمرين والظالمين

(١) ممن ترجم له ترجمة وافية:
- يوسف أسعد داغر في مصادر الدراسة الأدبية، ص ١٣٠٥ – ١٣٠٦.
- وقاموس الأدب العربي الحديث، ط. دار الشروق، ص ٥٣٦ – ٥٣٧، وكتب ترجمته الأستاذ محمد بريري.

فأوشك ذلك أن يجعل منه بطلاً قومياً فوق أنه أديب كبير..

وكنت لا تغشى نادياً من نوادي الأدب أو مجتمعاً من مجتمعات الفن إلَّا وجدت راوية لبيرم التونسي، يقص على الحاضرين بعض أزجاله ومقاماته وأسمَاره وأغانيه..

كنت تذهب إلى مقهى[1] الفيشاوي فتجد هنالك ركناً يتوسّط الجالسين فيه هلال شتا أو محمد مصطفى حمام، ويأخذ كل منهما في الرواية لبيرم التونسي..

وعلى باب اللواء المواجه لمبنى جريدة «الأهرام»

(١) كتب عن أدب المقاهي الكثير منهم: الأستاذ عبد المنعم شميس وقد صادفت مقالاً مطوّلاً مصوّراً في أعداد مجلة «الرسالة» (الأولى للزيات) عن المقاهي، ومقهىٰ الفيشاوي من أقدم المقاهي التي ما زالت موجودة في القاهرة، وهو يقع في حي الحسين، كان يرتاده الكثير من الأدباء، وقد نظم الشاعر كامل أمين قصيدة يذكرهم فيها في أحد دواوينه.

القديم كان يجلس حمام وكامل الشناوي وكامل البنا - بعد خروجه من السجن - يروون لبيرم التونسي من أزجاله وأشعاره ومقاماته..

وعلى مقهى الحلمية الذي كان يقع في شارع القلعة كنت تجد محمد[1] شوقي أمين وكامل كيلاني وغيرهما من رواة بيرم..

معنى هذا أن الحياة الأدبية في مصر في الثلاثينات من هذا القرن امتلأت بأدب بيرم التونسي حتى أصبح أدبه الشغل الشاغل للناشئين وشداة الأدب، ولاسيما الأدب الشعبي. كما أصبح سمر المجالس وتحفة السامرين..

وفي سنة ١٩٣٨ عرف الناس أن محمود بيرم

---

(١) محمد شوقي أمين (١٩١٠ - ١٩٩٢) لغوي مُجيد، مصري، من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (ذيل الأعلام، للأستاذ أحمد العلاونة ص ١٨٠ - ١٨١)، المجلد الأول.

التونسي قد دخل البلاد خلسة وبدون تصريح، وأن نزوله كان من بورسعيد في غفلة من عيون رجال الشرطة وحرس الميناء، وأعلن ذلك في الصحف، وبعد قليل نشرت صحيفة «الأهرام» زجلاً لبيرم - وكانت لا تنشر شيئاً بالعامية أبداً - يسترحم فيه ولاة الأمور، وكان رئيس الوزراء في ذلك العهد المرحوم محمد محمود باشا ووزير الداخلية المرحوم محمود فهم النقراشي باشا من المعجبين ببيرم لكثرة ما سمعا من مصطفى حمام عنه ولظروفه التي أشرت إلى بعضها في مستهل هذا الحديث فصدرت أوامر غير مكتوبة بالتغاضي عن وجوده، وبعدم التعرّض له وتركه حراً يذهب ويروح، حتى تحل مسألته وتنتهي مشكلته، وما لبثت المشكلة أن سويت بعد قليل واندمج بيرم في الحياة الأدبية..

لقيت محمود بيرم التونسي بعد ذلك لأول مرة على مقهى بالعتبة الخضراء أول شارع الجيش، وكان يجالسه

على المقهى الشاعر الخطاط الصديق سيد[1] إبراهيم الذي تولى مهمة التعارف بيننا إذ قدم كلاً منا للآخر، وآنذاك سمعت منه بعض أزجاله بلهجات بدوية وعربية مختلفة فبلغة الشام مرّة وبلغة تونس مرّة أخرى، وبلغة أهل صعيد مصر مرة ثالثة وهكذا، وهو أدب لبيرم لا يجوز أن يلقيه على السامعين إلا بيرم نفسه لأنه في إلقائه البديع يبرز أدق خصائص هذه اللهجات واللغات..

وكان المقام يقتضي أحياناً أن يكون هناك حوار بين لهجات مختلفة في الموضوع الواحد، فكان بيرم يغيّر نبرته، وصوته فتسمع به فرداً واحداً يتكلّم بأكثر من خمس لهجات ولو كان بينك وبينه ستار لظننت أن خمسة يتكلمون. وفي هذا يقول العقّاد:

(١) هو: سيد إبراهيم (١٨٩٦ - ١٩٩٣) شيخ الخطاطين في عصره، وشاعر معمّر، له (خط النسخ)، و(خط الرقعة)، و(أرجوزة في فن الخط) وغيرهم... (ذيل الأعلام لأخي البحّاثة الأستاذ أحمد العلاونة، الجزء الأول، ص ٩٥ و٩٦).

«كانت آية الآيات في بيرم أنه كان يفهم السريرة الناطقة بالعربية من بواطنها الخفية قبل أن يحكيها بلهجاتها الكثيرة على الألسنة أو على الأقلام..

فكان من طرائفه المحبوبة حيث يأنس إلى أصدقائه والمعجبين به أن يلقى عليهم حواراً يشترك في أحاديثه خمسة أو ستة من أبناء البادية أو الحاضرة يتحدث كل منهم بلهجته الموروثة ويتغنّى أحياناً بنغماته التي توافق تلك اللهجة وينتقل من سؤال إلى جواب ومن تعبير إلى تعليق ومن جد إلى فكاهة كأنه جماعة من الناس. ولم يكن ذلك كله من قبيل المحاكاة أو الإعادة الآلية التي يستطيعها الكثيرون، وإنما كان خلقاً للشخصية المتكلمة والعواطف والأحاسيس التي تكمن وراء الكلمات..».

وكنت قبل هذه الجلسة التي رأيته فيها لأول مرّة أعتقد أن بيرم مصري من الإسكندرية وليس من تونس الخضراء، كصديقنا الصعيدي القحّ حتى الجد السابع

على الأقل محمد خليفة[1] التونسي، الذي لا يمت أهله إلى تونس الخضراء بأدنى صلة وإنما هو من تونس قرية صغيرة من قرى إقليم سوهاج بصعيد مصر، وعرفت من بيرم في هذه الجلسة أن أهله تونسيون وفدوا من تونس وعاشوا في الإسكندرية، وأنه وُلِدَ بها حوالي سنة ١٨٩٣، وأنه حفظ القرآن الكريم وهو صغير جداً لم يبلغ العاشرة، ثم أدخل الكتاب فالمعهد الديني بالإسكندرية وكانت حلقاته ودروس مشايخه تنعقد في مسجد البوصيري أو المرسي أبي العباس لا أذكر تماماً، واختلف بيرم إلى هذه الدراسات الدينية واللغوية عدّة سنوات، ثم شق عليه الاستمرار فيها فقاطعها ودخل ميدان التجارة بقالاً في حي السيالة، ومن مكان البقال

(١) أقول: من أبرز تلامذة العقّاد، وقد عمل في تحرير مجلة «العربي» في الكويت، [وهو أديب وشاعر له العديد من المؤلفات. (١٣٣٤ – ١٤٠٨هـ = ١٩١٥ – ١٩٨٨)، توفي في الكويت].

(ذيل الأعلام لأخي الأستاذ أحمد العلاونة، الجزء الثاني، ص ١٦٠).

بدأت حياته الأدبية التي استمرت بعد ذلك إلى ما يقرب من نصف قرن، حتى توفي سنة ١٩٦١.

بدأت شهرة بيرم الأدبية بقصيدة من الشعر نظمها في العقد الثاني من هذا القرن، في أواخره، وكانت هجوماً شديداً على المجلس البلدي الإسكندريّ الذي أثقل كواهل الناس بالضرائب والمكوس والرسوم، وكان كثير من أعضائه من الأجانب وأصحاب الامتيازات الذين لم يكونوا يرعون جانب الشعب، وأوقع المجلس البلدي حجزاً على منزل صغير لبيرم التونسي، كان قد ورثه عن أبيه، حتى يدفع ما فرض عليه من الرسوم والضرائب فانفجرت نفس بيرم حقداً على المجلس البلدي وأنش يقول ساخراً ومتهكماً:

قد أوقع القلب في الأشجان والكمدِ

هوىٰ حبيبٍ يسمىٰ المجلس البلدي

ما شرد النوم عن جفني القريح سوى

طيف الخيال، خيال المجلس البلدي

إذا الرغيــف أتــى فالنــصف آكلــه
والنــصف أتركــه للمجلــس البلــدي
أقـول حتـى لـو انـي فـي الطريـق أرى
قرشـين ذا لـي وذا للمجلـس البلـدي
كـــأن أمــــي بـــلَّ الله تربتهـــا
أوصت فقالت أخوك المجلس البلـدي
ولــم أذق طعــم قــدر كنــت طابخهـا
إلا إذا ذاق قبلــي المجلــس البلــدي
ومـا كـسوت عيـالي فـي الـشتاء ولا
في الصيف إلَّا كسوت المجلس البلدي
وإن أقمــت صــلاتي قلــت مفتتحـاً
الله أكبـر باسـم المجلـس البلـدي[1]
أسـتغفر الله حتـى فـي الـصلاة غـدت
عبــادتي نــصفها للمجلــس البلــدي

---

(١) أستغفر الله تعالىٰ، هذه مبالغة غير مقبولة.

هل دارت الرسل بين العاشقين كما
تدور بيني وبين المجلس البلدي
عندي قسائم أسواق مكدسة
وكلها من حبيبي المجلس البلدي
أخشى الزواج إذا يوم الزفاف أتى
يبغي العروس صديقي المجلس البلدي
وربما وهب الرحمن لي ولدا
في بطنها مدَّعيه المجلس البلدي
أمشي وأكتم أنفاسي مخافة أنّ
يعدّها عاقل للمجلس البلدي
وإن جلست فجيبي لست أتركه
خوف للصوص وخوف المجلس البلدي
يا بائع الفجل بالمليم واحدة
كم للعيال وكم للمجلس البلدي
إن الدعاء على الجبار أبلغه
يا رب سلط عليه المجلس البلدي

ويقول الأستاذ/عبدالفتاح غبن أحد مؤرخيه أنه أرسل هذه القصيدة إلى جريدة «الأهالي» التي كان يصدرها بالإسكندرية المرحوم/عبدالقادر حمزة فنشرتها في أبرز مكان وحيث الشاعر وشعره. وقد دفعه هذا النجاح الذي لم يكن متوقعاً أن يعيد صياغة القصيدة على طريقة التخميس وأن يطبعها في كتاب صغير كان يبيعه بنفسه لروّاد على المقاهي وفي الشوارع ومحطات السكك الحديدية وفي المكاتب الحكومية[١].

وقرأت لمحمود بيرم التونسي معظم ما كتب من الأزجال «من الأغاني وغير الأغاني» ومن المقامات، وهي فنّ من فنونه الطريفة، يدور الكلام فيها بين الشعر والنثر وبطلها شيخ من الأزهريين وعدد لا يحصى من أبناء البلد، وفي إحدى مقاماته يتحدّث عن شيخ دخل حلقة الرقص لأول مرة فيقول:

(١) ليتنا نعثر عليه!

يا صاح وحقك[1] ليس على　　　من رام المرقص من حرجِ
الرقص حياة النفس فقم　　　وادخل للمرقص واندمجِ
ما كاد مغني القوم يد　　　ق الدف بلحن منه شجِ
حتى انفرطت وحداتهم　　　ثم ازدوجت بالمزدوجِ
شيخ وخليلته التصقا　　　بصدور العزم وبالمهجِ
فعلى كتفيه معاصمها　　　ويداه بخصر ذي تموجِ
طوراً كالصاعد في درج　　　أو كالمنحط من الدرجِ
وإذا رفعت قدما وضعت　　　قدما والرفع بلا عرجِ
والقوم تموج الأرض بهم　　　بما هم فه من الهرجِ
وفقيه الله على حدة　　　فمن بالشوق المعتلجِ
في الركن يرقص لحيته　　　وتروح عمامته وتجى....

وتثور المعارك بين محمود بيرم التونسي وبين كثير من أدباء عصره، فيهاجم أبا بثينة الذي كان يطلق عليه

---

(١) لا يجوز القسم بغير الله تعالىٰ، حتى وأن تعلّل بعضهم بأن الشعراء أكثروا من ذلك في أشعارهم!
أقول: لولا الأمانة العلمية، لحذفنا هذا البيت وما يليه!

أمير الزجالين منذ ثلاثين عاماً فيقول: «أميري جوز أم بثينة» ويهاجم الأديب الفكه والزجال الكبير/حسين[1] شفيق المصري، بقصيدة جيدة منها:

يا حسين بن شفيقة ... ضجرت منك الخليقة
أبدا تحدث كالنا ... قوس أصواتاً عتيقة
هل ترى الناقوس قد ... غير في الدنيا زعيقه
أو رأيت الجحش يستبد ... ل ما عاش نهيقه
حامل جمجمة جوفاء ... بالقطع خليقة
أنت في الكتاب كالجميـ ... ـز في وسط الحديقة
لا تقف وقفة الأبله ... لا يدري الحقيقة
كم وكم تسرق مني ... فكرة كانت رشيقة

ويهاجم بالزجل مدير المطبوعات الذي كان يمنح تراخيص إصدار الصحف، ولبيرم التونسيّ معارضات كثيرة، لكنها كلها هازلة وساخرة، لأن هذا هو الوتر

(١) (١٨٨٢ - ١٩٤٨) أديب مصري شاعر، ناثر، من أبرز أعلام الأدب الفكاهي في مصر، ترأّس تحرير مجلة «الفكاهة» (مصادر الدراسة الأدبية مع الاختصار).

الصحيح الذي يحسن الضرب عليه، يعارض ابن الفارض في قصيدته المشهورة «أنتم فرضي ونفلي» فيقول:

كفى بجسمي دليلاً وشعري المتدلي
وبذْلة ليس فيها من النظافة «ملِي»
وجزمة بنت كلبٍ منها ترى الناس رجلي

ويعارض الشريف والمتنبي والبحتري بمثل هذه الهزليات، ولمحمود بيرم التونسي كتاب لم نطلع عليه (عنوانه السيد ومراته في باريس)، ولكن أحد أصدقائه الأستاذ/كامل البنا يقول: إنه كتاب فذ في نوعه نسيج وحده في الوصف والدّقة وتصوير حياة الأسرة وروى والعهدة عليه أنه يدرس الآن في بعض جامعات أوروبا.

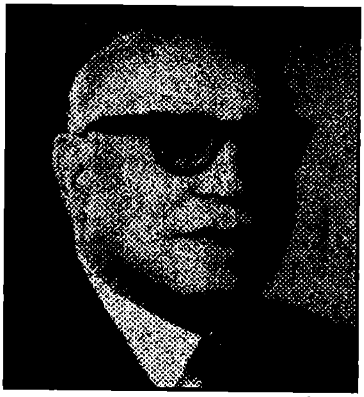
كانت مقابلاتي لبيرم التونسي قليلة، وكنت في كل مرّة أقابله فيها أسأله عن أحواله فيسب[1] الزمان والمكان ويلعن الناس ويقول: إنه غير راضي عن أحد وإنه لا ينسى أن الناس تركوه في باريس لا يجد طعاماً ولا

(١) لا يجوز سب الدهر، ولا يجوز لعن النَّاس؟!

مأوى، وأهملوه حتى اشتغل عاملاً في مصانع الحديد المنصهر، يصلاه ويحمله على ظهره، ثم لا يجد الطعام إلَّا كل يومين..

لقد ترك النفي في نفس بيرم آثاراً بعيدة في أغوار نفسه، وعقداً كثيرة كانت تسيطر على تصرفاته وتحكم أفعاله وأقواله، فكان يحس نحو المجتمع إحساساً غريباً، جعله يتبرم بكل شيء ويضيق بكل شيء، رغم أنه نال حقه من التقدير والرعاية. قال لي مرة أنه يتفضل على الناس بما يكتب، من شعر وزجل، وإن جزاءهم الماديّ لا يساوي عشر معشار ما يستحق. فقلت له: إن الفنان كالقمر يرسل نوره وكالزهر يرسل عبيره لا يسألان - أحداً عليهما جزاء أو شكوراً فنظر إلى وسكت.

وها هو ذا بيرم التونسي، يؤلف عنه من الكتب ما لم يؤلف عن أديب كبير كإبراهيم عبدالقادر المازني، ويسمى باسمه شارع يبلغ ثلاثة أمثال طول الشارع الذي سمى باسم المازني... لعله يرضى!



الأستاذ أحمد حسن الزيات
المصدر: الأعلام، الجزء الأول، ص ١١٤

٥) أحمد حسن الزيّات[١]

في أوائل[٢] الثلاثينات من هذا القرن، صدرت مجلة «الرسالة» وقد أحدث صدورها دوياً هائلاً في الحياة الأدبية، لأن القائمين على تحريرها كانوا هم عمد الحياة الأدبية في مصر، والقائمين على الثقافة والترجمة والتأليف، ولأن الإعلانات التي ألصقت على الجدران في الشوارع كانت تقول يشترك في التحرير

---

(١) من الكتب التي صدرت عنه:
- [أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة، د. علي محمد الفقي، من سلسلة اقرأ [٣٦٧] سبتمبر ١٩٨١].
- أحمد حسن الزيات كاتباً وناقداً، د. نعمة العزاوي، سلسلة الألف كتاب (الثاني) الهيئة المصرية بالاشتراك – القاهرة، بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية – بغداد.

(٢) صدرت عام ١٩٣٣ وبالتحديد في ١٥ يناير [أحمد حسن الزيات، كاتباً وناقداً، د. نعمة العزاوي، الهيئة المصرية بالاشتراك، ١٩٨٦].

الدكتور/ طه حسين وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر..

واتخذت المجلة لنفسها مقراً في شارع الساحة «رشدي حالياً» قريباً من مبنى جريدة «الأهرام» القديم..

ولما صدر العدد الأول منها نفد من أيدي الباعة في عدّة ساعات، وهو أمر لم يكن مألوفاً في ذلك العهد لقلّة القارئين والمثقفين على العموم، وكانت تصدر كل أسبوعين، بصفة مؤقتة، وتنشر بعض مقالات في النقد والتاريخ، وبعض طرائف الشعر والقصة..

وانتقلت مكاتب المجلة بعد حين إلى ميدان العتبة الخضراء، انفصالاً من لجنة التأليف والترجمة والنشر واستقلالاً من صاحبها الأستاذ/أحمد حسن الزيات بها ولم يؤثر هذا الانفصال على المجلة لأنها كانت قد أخذت مكانها في نفوس القراء في مصر وفي العالم العربي كله، كذلك لم يؤثر عليها أن أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر مجلة منافسة للرسالة هي

الثقافة التي قام على رئاسة تحريرها الأستاذ/أحمد أمين صاحب فجر الإسلام وضحى الإسلام وغيرهما وصاحب الترجمات والمؤلفات القيمة، والأستاذ الجامعي ذو الصيت والذكر، فبقيت مجلة «الثقافة» عليلة ضعيفة أمام منافستها الأولى «الرسالة» ولم ينفع الثقافة إن ملأتها أقلام العمالقة من رجال لجنة التأليف والترجمة والنشر..

لذلك بقيت «الرسالة» على قوتها، وأخذت في إظهار أسماء جديدة في عالم الأدب لم يكن لها إلَّا قليل شأن قبل ظهور مجلة «الرسالة»..

والعجيب أن «الرسالة» جاءت كعصا موسى، فقد لقفت ما وجدت في طريقها من المجلات الأدبية الأسبوعية كالسياسة الأسبوعية والأسبوع والفجر، ولكنها لم تؤثر على المقتطف والهلال فقد كان لكل منهما وزنه وقدره..

وحين علا رقم توزيع «الرسالة»، وذاعت حتى

صارت صحيفة صبيان[1] الكاتب فضلاً عن خاصة المثقفين رأى صاحبها أن يبتني لها داراً، وأن يصدر لها شقيقة تختص بالقصة سمّاها مجلة «الرواية»، وكتب الشيخ محمود الزناتي بيتاً من الشعر يسجل به تاريخ هذه الدار بحساب الجُمَّل على طريقة الشعراء في العصر المملوكي، فقال:

«دار الرسالة والرواية عامرة»

وقد سمعت الزناتي يقرأ البيت على الزيات لكنني لم أحقق صحة دلالته على التاريخ. عرفت الزيات وأنا طالب بدار العلوم، وقابلته لأول مرة في مقر «الرسالة» بميدان العتبة قليلاً، وإذا نظر في صحيفة أدناها من عينيه أدناء شديداً، وكان إذا قرأ الشعر أو شك إلا يقيم وزنه، فقد قرأ بيتين من القصيدة التي قدمتها إليه للنشر ثم أعادها إليَّ لأقرأها عليه ويجوز أن يكون لضعف بصره دخل فيما صنع..

(١) هكذا وردت العبارة في الأصل، ولا نعلم المغزىٰ من ذلك؟!

ثـم توطـدت صـلتي بالزيـات بعـد ذلـك، وكثـرت زياراتي لـدار مجلـة «الرسـالة» وهنـاك كنـت ألقـي بعـض الأدباء الذين سمعت بهم وقرأت لهم كالأستاذ/ مـصطفى صـادق الرافعـي الـذي كـان الزيـات يحتفـي بـه حفـاوة كبيرة..

كـان الزيـات رجـلاً دقيـق المواعيـد، تـضبط سـاعتك على موعد حضوره إلى دار المجلة ويعجبك منه تأنّيه في القـول وإيجـازه فـي الحـديث كمـا يأسـرك إليـه حـسن استماعه لما تقول..

وكان الزيات يحس أن قـوة الرسـالة كلها كامنـة فيـه هو، لا في مادتهـا وتحريرهـا ولـذلك جعـل جل اعتمـاده على «صندوق البريد» الذي كان يحمـل إليـه مـن الناشـئة والـشعراء ومحبـي «الرسـالة» كـل أسـبوع عـدّة مئـات أو آلاف من الرسائل، يفحـصها ويقرؤهـا قبلـه جماعـة ممـن كانوا يتحببون إليه بهذا العمل وأمثاله لينـشر لهـم بعـض إنتاجهم، فإذا اختصروا الآلاف إلى مئات، ثـم اختـصروا

المئات إلى عشرات، جاء الزيات فنظر فيها وانتقى من هذه العشرات آحاداً ينشر بعضها ويدخر بعضاً، فإذا نشر لاسم واحد مرتين في «الرسالة» استحق في نظر الأستاذ الزيات أن يأخذ لقب «أحد كتاب الرسالة» وهو لقب يتيح لصاحبه أن ينشر في «الرسالة» دون أن تقف في وجهه سدود أو قيود، وكان من تقاليد «الرسالة» إلَّا تمنح لقب الأستاذ إلَّا للذي تخرج، فهو الأديب فلان ما دام طالباً فإذا هو تخرج وأنهى الدراسة العالية فهو الأستاذ..

وفي هذا المجال حدثت مفارقات مضحكة، فقد أرسل أحد الطلبة بحثاً ممتعاً أعجب الزيات فنشره في «الرسالة» وذكر اسمه مسبوقاً بلقب الأستاذ، وطار الطالب من الفرح وأبدى ما كان أخفاه على الزيات من أنه طالب، وأرسل مقالاً جديداً فيه إمتاع المقال الأول وجودته، ولكن ذلك كله لم يشفع له، ونشر المقال الجديد بلقب للكاتب جديد هو الأديب «فلان»..

لكن الزيات لم يعتمد كل الاعتماد على «صندوق البريد» فاستكتب جماعة من كبار الأدباء منهم الرافعي وزكي مبارك، ثم العقّاد، وعلمت من بعض هؤلاء أن أجر المقال الواحد لم يكن يزيد على جنيهين اثنين..

وعلى صفحات «الرسالة» قامت معارك[1] أدبية كثيرة، كمعركة اللاتينيين والسكسونيين بين العقّاد وطه حسين، وكمعركة أنصار الرافعي وأنصار العقّاد، وكالمعارك المتواصلة التي كان يشب لظاها الدكتور/زكي مبارك، ولا بد أن نسجل هنا أن الزيات - رحمه الله - كان يرحب بتلك المعارك لما فيها من العائدة على توزيع «الرسالة»، ثم كان يقف في كل منها موقف المحايد المنصف الذي لا يغلب رأياً على رأي ولا ينصر فريقاً على فريق..

(١) للأستاذ البحاثة أنور الجندي - رحمه الله - كتاب ضخم في هذا المجال، رصد فيه المعارك الأدبية في ذلك العصر.

وكانت مقالات الزيات في افتتاحيات «الرسالة» نمطاً من الكلام أعاد إلى الأذهان المويلحي والمنفلوطي وتوفيق البكري وغيرهم من كتاب النثر الفني في الجيل الذي سبق جيل الزيّات، وقد عرب روايتي رافاييل وآلام فرتر تعريباً أو شك فيه أسلوب الزيات المزدوج - الموسيقى الرنان أن يطغى على المعاني في أصلهما..

وكان الزيات رحمه الله، حليماً مفرط الحلم، ولكنه كان حين يغضب ينتضي قلمه فإذا هو شواظ من جهنم، ويهاجم فإذا هو كما يقول الشاعر:

أحلامنا تزن الجبال رزانةً
وتخالنا جِنَّاً إذا ما نجهل

ولا شك أن كثيراً من الأدباء يذكرون تلك النتف التي نشرها في الرسالة الجديدة سنة ١٩٦٤ و١٩٦٥ ووقعها بإمضاء «ابن عبدالملك» وهاجم فيها زوجين

أديبين فاضلين ورمز لهما باسمي مسيلمة وسجاح[1]، وكان السبب في ذلك أنهما كتباً في مجلة لهما يشتمان مجلة «الرسالة» ويهونان من شأنها في النهضة الأدبية المعاصرة، وهما بما صنعاه قد طعناً موطن العزّة والكرامة عند الزيات الذي كان أحب ألقابه إليه أنه «صاحب الرسالة».

وقد نال الزيّات في حياته شتى صنوف التكريم التي يمكن أن ينالها أديب فقد انتخب لعضوية مجمع اللغة العربية أو مجمع الخالدين، واستقبل فيه استقبالاً عظيماً كريماً، ونال جائزة الدولة التقديرية في الآداب، ونال أرفع أوسمة الفنون والآداب..

اشتغل الزيات بتدريب آداب اللغة العربية في مصر وفي العراق، ففي مصر كان مدرساً بالمدرسة الإعدادية

(١) يقصد غالباً الأستاذ أمين الخولي صاحب مجلة الأدب، وزوجته «بنت الشاطئ» عائشة عبدالرحمن – رحمهم الله تعالىٰ جميعاً –، وكما قيل: للغضب ريح تطفا سراج العقل.

قبيل الحرب العالمية الأولى زميلاً للأديبين الكبيرين عباس محمود العقّاد وإبراهيم عبدالقادر المازني؛ إذ كانا هما أيضاً مدرّسين بهذه المدرسة، واشتغل بالعراق في دار المعلمين العالية، وتخرَّج على يديه كثير من أفاضل أدباء العراق وشعرائه..

وكانت النيّة أوّل الأمر متّجهة إلى استقدام العقّاد للتدريس في العراق، وقد فوتح فعلاً في هذا الشأن، ورأى أن ظروفه لا تساعده على الاستجابة بطلب العراق، فاعتذر اعتذاراً رقيقاً، ورشح بدلاً منه الأستاذ أحمد حسن الزيّات ثقة منه بعلمه وفضله وخلقه، وهي صفات تبينها العقاد في صديقه الزّيات أيام التدريب بالمدرسة الإعدادية بحي الظاهر بالقاهرة..

نشأ الزيّات أزهرياً، وحضر كثيراً من حلقات الدروس في الأزهر الشريف، واكب على كتب الأدب القديم فاستوعبها استيعاباً، ثم تعلَّم اللغة الفرنسية

وحذقها حذقاً مكَّنه من قراءة نفائسها ومن الترجمة منها إلى اللغة العربية، وحضر دروس الجامعة المصرية القديمة زميلاً للدكتور/طه حسين، واستفاد من طريقة المستشرقين في دراسة الآداب، فجاء كتابه تاريخ آداب اللغة العربية أثراً من آثار هذه الاستفادة..

وفي الثالث عشر من يوليه سنة ١٩٦٨ اختار[١] الزيّات جوار الله بعد أن نيف على الثمانين من عمره، وبعد أن خَلَّفَ للأدب العربي ثروة من الكتب المؤلّفة والمُتَرجمة وقرابة ألف عدد من أعداد مجلتيه «الرسالة والرواية» تقصان في صفحاتهما تاريخ نهضة أدبية ساحقة قامت في وطننا العربي في الثلث الثاني من القرن العشرين..

* * *

(١) وصف (اختار) غريب هنا!


أنطون الجميّل
المصدر: مطبعة المعارف
وأصدقاؤها عام ١٩٣١

٦) أنطون الجميل[1]

لما توفي المرحوم داود بركات رئيس تحرير «الأهرام» في سنة ١٩٣٢، تولى رئاسة تحرير «الأهرام» بعد أنطون الجميل، وكان من رجال وزارة المالية، عمل في اللجنة المالية بها طويلاً، في عهود عديد من الوزراء، وكان المرحوم داود بركات أديباً صافي الطبع فيّاض القريحة، ولكنه كان أميل إلى الاعتزال والخلوة، فكان لا يغشى مجلة بمكتبة بالأهرام إلا عدد قليل من الناس..

لكن الأستاذ/أنطون الجميل حين تولّى رئاسة التحرير انفتح بابه للشعراء والأدباء والأصحاب وذوي

(١) وُلِدَ عام ١٨٨٧، وتوفي عام ١٩٤٨، له عدد من المؤلفات الصَّغيرة. (مصادر الدراسة الأدبية، ص ٣٢٣ – ٣٢٥).

الـرأي، وكانـت الـصفحة الثالثـة مـن «الأهـرام» صـفحة «الآداب والعلـوم والفنـون» بأعمـدتها الـسبعة ملتقـى لأقلامهم ومنبراً لآرائهم..

وفـي أخريـات ذلـك العـام، كنـت ممـن يكتبـون فـي الـصفحة الثالثـة، ولكـن دون أن ألقـى الجميـل أو أغشى مجلة، كنت أكتفي بكتابة القصيدة أو المقالة بخـط جيـد أنيس، ثـم أضـعها فـي مظـروف أكتـب عليـه اسـم رئـيس التحرير وأسلمه إلى عامل الساعة عند بـاب «الأهـرام» أو لحاجب مكتب رئيس التحرير وأنصرف دون أن أُفَكِّر في الدخول على رئـيس التحريـر. والـذي أذكـره أن «بـشيراً» حاجـب رئـيس التحريـر كـان يرتـاح لهـذا التـصرف مـن جانبي ارتياحاً يبدو على أساريره، وما كنت أعلـم سـبب ذلك، ولكنني عرفـت فيمـا بعـد أن طُلّاب مقابلـة رئـيس التحرير كثيرون، وأن ذلك يشق عليـه، وأن التخفـف مـن هذا الأمر – في هذه الحالة – يصبح مزية ومحمدة تقابـل من بشير كما قلنا بالراحة والانبساط..

ونشرت لي «الأهرام» أولى قصائدي، فأقبل الناس عليَّ مهنئين، وزارني في منزلي الشاعر مختار[1] الوكيل «المستشار الآن بالجامعة العربية ومدير معهد المخطوطات بها» للتهنئة، وكان حينذاك طالباً بكلية الحقوق بالجامعة المصرية..

ثم توالى نشر مقطوعاتي وقصائدي في الصفحة الثالثة، بالطريقة السابقة، لا أعرف رئيس التحرير ولا يعرفني بل لا يعرفني أحد في «الأهرام» على الإطلاق، وإنما أسلم المظروف لعامل الساعة أو لحاجب المكتب، وبالطبع لم تنشر لي «الأهرام» كل ما أرسلته إليها، بل لم تنشر أكثره، ولكن هذا القليل الذي نشرته جلب عليَّ كثيراً من الشهرة وبُعْد الصيت، وأصبح اسمي من بين الأسماء التي تعوّد الناس أن يقرؤوا لأصحابها في الصفحة الثالثة!

---

(١) مختار الوكيل: ترجم له أخي البحَّاثة الأستاذ العلاونة في الجزء الثاني من ذيل الأعلام، ومما ذكر عنه أنه وُلِدَ عام ١٩١١ - وتوفي عام ١٩٨٨)، وإنه أديب وشاعر من جماعة «أبولو» له عدد من المؤلفات.

وفي ظهر يوم من أيام الخريف، مضيت كعادتي إلى «الأهرام»، أسلم رجل الساعة أو الحاجب رسالتي المعهودة، لكن الحاجب طلب إليَّ أن أنتظر برسالتي في إحدى غرف الانتظار، وعاد بعد قليل يدعوني إلى مقابلة رئيس التحرير دون أن أطلب ذلك. ودخلت لأوّل مرّة في حياتي مكتب أنطون الجميل، الذي نهض واقفاً يحييني، ونَهَضَتْ معه رفقة كانت معه، عرفت منهم الشيخ محمد سليمان عنارة الذي كان نائباً للمحكمة العليا الشرعية في ذلك الحين، ورجلاً اسمه مأمون وكان عالماً من علماء الحشرات في وزارة الزراعة، وثالثاً لا أذكره الآن على التحقيق، وإنما يحتمل أن يكون السيد محمد الغنيمي التفتازاني..

قدَّمني الأستاذ أنطون رحمه الله إلى الحاضرين وقدَّمهم إليَّ، وشعرت أنه إنما يعتبر كُتّاب الجريدة كأنما هم أسرة واحدة، وأنه بهذا التقديم قد ضمّ إليها عضواً جديداً وظل هذا الشعور يسيطر على نفسي بعد ذلك،

حتى إنني عندما تخرّجت وعثّرت في حصولي على وظيفة، مضى أنطون الجميل إلى وزارة المعارف العمومية يسعى واستطاع بمجهوده أن يحصل لي على وظيفة مدرّس في مدارس جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية بالإسكندرية ويقتضي الأمر هنا أن يقال: إن العقّاد وكانت صلتي به أشد لم يشأ أن يرجو أحداً في شأني، فقد كان من أبرز عاداته – رحمه الله – ألَّا يتوسط لأحد في عمل، اعتداداً بنفسه وبُعْداً بها عن رجاء الناس..

في المقابلة الأولى لرئيس تحرير «الأهرام» لاحظت أن الحاضرين يتكلّمون ويخوضون في كل مجال من مجالات الحديث، في السياسة والأدب والاجتماع، ويسوقون النوادر وغير النوادر، وأنطون الجميل ينظر في أوراق بين يديه يسمع ويشارك بين الحين والحين؛ إذ يرفع عينيه من الأوراق ويتكلَّم، ثم يعود إلى النظر فيها من جديد، ولكنه من هذا متابع لما يُقال لا تفوته مما

يقال كلمة أو فكرة؛ إذ يطلق التعقيب على المتكلم كأنما أعدّه وتروّى فيه مدة طويلة..

ثم توالت بعد ذلك زياراتي لـ «الأهرام» ورئيس تحريرها، وكان من العاملين بمكتبة في ذلك الحين شابان حدثان هما نجيب كنعان الذي صار مديراً لتحرير «الأهرام» وأحيل إلى معاش التقاعد سنة ١٩٦٨، وتوفيق حنا الشمالي الذي يرأس الآن تحرير إحدى الصحف بالمملكة الأردنية الهاشمية أو بالجمهورية اللبنانية، كان أنطون الجميل أسرع الناس قراءة واستيعاباً، فهو ينظر في الورقة نظرة واحدة في لحظة واحدة أو لحظات قليلة، ثم ينحّيها جانباً إن كانت غير صالحة للنشر أو يوقع عليها بالحرف الأول من اسمه «بالفرنسية» إن كانت صالحة ويضعها على المكتب في «خانة» معدّة لذلك، ولا يلبث بشير أن يأخذها مع غيرها مما أجيز نشره إلى المطبعة..

وفي أحيان قليلة كان يقرأ على الحاضرين بعض ما يعجبه مما يقرأ أو بعض ما يستغربه منه ويطلب من

الحاضرين إبداء آرائهم، وقد يجعل منه موضوعاً للنقاش حتى ينتهي إلى رأي فيه..

في مكتـب أنطـون الجميـل رأيـت طائفـة مـن عليـة الأُدباء والشعراء وأهل الـرأي والحِكَـم والسياسة، رأيـت الشعراء محمد الهراوي، صاحب شعر الأطفال، ومحمد الأسمر ومحمد شوقي أمين اللغوي الحجة، وحفني محمود وعبدالحميد عبدالحق الوزيرين السابقين، وأحمد الصاوي محمد صاحب ما قلّ ودلّ، ومحمد زكي عبدالقادر صاحب نحو النور، والشيخ علي الغاياتي الشاعر الوطني الإسلامي المجاهد، والشيخ أحمد عبدالحليم العسكري الصحافي، وخليل مطران وهو غني عن التعريف، وأحمد الكاشف الشاعر، ومحمد خالد الذي كان محرراً بـ «الأهرام» ثم استقل فأصدر «الدستور»..

وكان أنطون الجميل قد وفد على مصر من مسقط رأسه لبنان الذي وُلِدَ فيه سنة ١٨٨٧ وكان وفوده على مصر سنة ١٩٠٩ كما يؤكد صديقنا الأستاذ/محمد

عبدالغني حسن شاعر «الأهرام» ونشرت له مطبعة المعارف بالفجالة في السنة نفسها مسرحية صغيرة اسمها «أبطال الحرية»..

وفي سنة ١٩١٠ أصدر مجلة «الزهور» واختار أن يصدر العدد الأول منها في مارس - آذار من ذلك العام لينشئ بذلك توافقاً بين اسم المجلة ومستهل صدورها.

وهذا التوافق كان خصيصة من خصائصه في الصحافة وفي الأدب، إذ كان يعني بضبط الأسلوب وتحريره وموسيقاه، كما كان يعني بصياغة الأخبار والمقالات صياغة تَنُمّ عن ذوق يصعد إلى التوافق والملاءمة دائماً.

ومن يتتبع تاريخ حياة أنطون الجميل يجد أنه اشتغل بالصحافة في اتجاهات مختلفة فصحافة دينية في مجلة «البشير» بلبنان، وكان يصدرها الآباء اليسوعيون بلبنان، وصحافة أدبية في مجلة «الزهور»، وصحافة سياسية إخبارية في جريدة «الأهرام» بالقاهرة، ثم

صحافة عربية في كل ذلك وصحافة فرنسية في جريدة «البيراميد» - الأهرام - وكانت تصدر بالفرنسية في مصر..

وفي فترة من فترات حياته كانوا يسمونه «كاتب مقدمات الكتب». لما لوحظ من كثرة المقدمات التي كتبها فهو قد كتب مقدمة ديوان ولي الدين يكن، ومقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا، ومقدمة شاعر البراري، ومقدمة ديوان «تغريدات الصباح» للشاعر محمد الأسمر ومقدمة لكتاب ما قلَّ ودلّ للأستاذ/أحمد الصاوي محمد، ومقدمات أخرى كثيرة غير هذه لا نذكرها الآن..

سمعته مرة محاضراً في دار الجمعية الجغرافية بشارع قصر العيني، وكان «صانعوا الجريدة» عنواناً لمحاضرته، التي جمعت بين الجد والفكاهة والتاريخ والأدب مما جعلها تستقبل من المستمعين بقبول حسن، وما جعل الأستاذ أنطون يطبعها في كتيب صغير أهداه إلى أصدقائه. ومن طرائف ما ذكره في محاضرته عن الأخطاء المطبعية في الصحافة أن صحيفة أرادت أن تتحدّث عن

تجديد شباب القضاء فجمعها صفاف الحروف «تجريد ثياب القضاة» وأن صحيفة أخرى أرادت أن تثني على همّة الشيخ محمد الخضري بعد أن أصدر كتاباً من كتبه فجاء ثناؤها منصباً على «عمة» الشيخ لا على همته. وأن صحيفة فرنسية تحدثت عن وسام الشرف الذي منح لأحد الناس فتغيّر حرف حوله إلى وسام العار..

كان مجلسه مجلس وقار وأدب، وكان الجميل ناقداً رقيقاً، لا يبخل بالتوجيه على من يستحقه، مستعيناً بأنه بدأ حياته معلماً؛ إذ كان يدرس البيان في كلية القديس بيروت، يجلس إلى مكتبة إلى ما بعد منتصف الليل، ثم ينتقل إلى بار اللواء ليجلس قليلاً إن رأى لذلك ضرورة، ثم يمضي إلى بيته والفجر ينسج خيوطه الأولى، وظل على ذلك حتى وافته منيته بعد أن أصدر عدد يوم ١٣ يناير سنة ١٩٤٨ من الأهرام..

* * *


كامل كيلاني
المصدر: كتاب (كامل كيلاني في مرآة التاريخ لأنور الجندي)

٧) كامل كيلاني[1]

كان كامل كيلانـي رحمـه الله شــعلة مــن النــشاط والــدأب والجــدّ، وكــان يــرى أن الأدب وحــده لا يكفــي لإحقــاق حــق الأديب وإبطال باطل خصومه، بل لا بـد معـه من المساعي والمنـاورات والتهـريج – إذ دعا الأمر – مصداقاً لما كان يقول:

قليــل مــن التهــريج يحمــي كفــايتي
ويرفـع منـي بعـض مـا خفـض العلـم

---

(١) من أفضل من كتب عنه:
(كتاب ضخم يقع بقرابة ٩٠٠ صفحة) قام بإعداده البحّاثة الأديب الأستاذ أنور الجندي، جمع به جلّ ما كُتب عن كامل كيلانـي)، طبع في مصر في مطبعة الكيلانـي عام ١٩٦١ (اعتماداً على تاريخ مقدمة الجندي).

وأذكر أنني لقيته أول مرة على مقهى الحلمية، في الطابق الثاني، حين كان يجلس كل ليلة وحوله نفر من الأدباء والشعراء، من أمثال محمد شوقي أمين وإبرهيم علي أبو الخشب ومحمد فهمي عبداللطيف وغيرهم. وأعجبني منه في هذه الجلسة التي امتدت إلى حوالي منتصف الليل، دِقَته في تحرير الألفاظ وضبط صحتها، كما أعجبني اهتمامه بالنحو والصرف، إلى جانب روايته للأشعار والأمثال والنوادر..

وحين وقعت بينه وبين أبي شادي خصومة، ووقعت بينه وبين العقّاد خصوصة رأى أنه لا بد له من أن يتّخذ مكتباً يجلس فيه مع أصدقائه وأحبائه لتنظيم الخطط في الردود على جبهتي أبي شادي والعقّاد، وكان هذا المكتب غرفة صغيرة في الدور الأول من منزل صغير بشارع حسن الأكبر بالقرب من سراي محمود سامي البارودي بالقاهرة.

في هذا المكتب زرته عدّة مرّات، وسمعته يهاجم أبا

شادي مئات المرّات، على النمط الآتي، إن أبا شادي يشتمني ويسبني ويقول إنني جاهل حقير، وإنني غير شاعر وغير أديب، وأنا أقول للناس إنه رجل مهذّب، وعالم، وشاعر وأديب، وقد مكثنا على ذلك عدّة سنوات فماذا كانت النتيجة؟

فيسأله بعض الحاضرين: ماذا كانت؟

فيجيب على الفور: لم يصدقني أحد من الناس، ولم يصدقه أحد من الناس!

وفي هذا المكتب شهدت كامل كيلاني يضع بنفسه خطة لإقامة حفل لتكريمه ومنحه لقب «نقيب الأدباء ومنشئ الجيل» وقد وقع على رجل طيب وأديب من الجيل الأسبق هو الأستاذ المرحوم/محمد صادق عنبر ليدعو إلى هذا الاحتفال ويرأسه ودعيت لأقول في هذا الحفل كلمة أو قصيدة فاعتذرت بالامتحانات وظروفها، ودعى الشيخ إبرهيم علي أبو الخشب الأستاذ الآن

بجامعة الأزهر، فألقى أبياتاً جاء فيها قوله: «أنت النقيب عليهم»، فلما سألته بعدها عمّا يقصد بقوله عليهم؟ قال ضاحكاً على من جعلوه نقيباً لا عليَّ ولا عليك!..

ثم طبع كامل كيلاني على نفقته كل ما قيل من الكلمات في حفل تنصيبه نقيباً على الأدباء ووزعه بالمجان، وبأعداد كبيرة على كل طَلَبَه ومن لم يطلبه من الأدباء والمتأدبين..

وحين نادى بعض الناس ومنهم الدكتور/طه حسين بالعقّاد أميراً للشعراء، أراد كامل كيلاني وجماعته أن يردوا على تلك المناداة، وأن يهاجموا العقّاد في صورة لطيفة فأتوا برجل كان يعمل نساخاً في دار الكتب اسمه «البرنس» ولم تكن له بالشعر أو الأدب صلة فأقاموا له حفل تكريم في دار نقابة موظفي الحكومة بميدان الأوبرا ومكانها الآن كازينو أوبرا، وبايعوه أميراً للشعراء، وألقى كامل كيلاني في الحفل قصيدة جاء فيها:

إن يركب الجحش شعرور لغايته
فما رأيناك إلا راكباً جملا
وإن يكن شعرهم من سخفه بصلا
فإن شعرك يحكى الشهد والعسلا

وقال في ختامها:

روانه وادع وسل واعرض لخصهم[1]
ثمن وارج، كذاك التقى قد كسلا

والهجوم في القصيدة واضح.

كذلك ألقى الشاعر الخطاط سيد إبرهيم قصيدة قال فيها:

وخذا إذا شئت بعد هذا
أمارة الخط مستقلا
فقد غدا الفن لا يساوي
قلامة الظفر أو أقلا!

(١) ورد البيت هكذا!!

وحين دعاني كامل كيلاني – وكنت من أصدقاء العقّاد – للاشتراك في هذه الحفلة تدبرت الأمر قليلاً، فوجدت أن اشتراكي معهم، مع شهرتي بأني من أصحاب العقّاد، يبعد عن العقّاد ولو في الظاهر، اتجاه الهجوم في الحفلة فاشتركت، وأكّدت المعنى الذي أردته ببيت من الشعر جعلته ختام قصيدتي وقلت فيه:

أنت «طغَّرت» يا برنس و«عقَّدت» فأترع بالشعر فارغ كأسي

أي أنك أصبحت كالطاغور وكالعقّاد...

ويذكر الناس أن كامل كيلاني بالاشتراك مع الشيخ عبدالرحمن خليفة قد حقق ديوان ابن زيدون وضبطه وفسّر غريبه، ولكنني لقيت الشيخ عبدالرحمن خليفة بعد سنين من ظهور الديوان وعرفت منه أنه هو الذي قام بالعمل كله تحقيقاً وضبطاً وشرحاً، بل إنه قام كذلك بمراجعة تجارب المطبعة، ولم يكن نصيب كامل كيلاني

من العمل إلَّا وضع اسمه على الكتاب والدعاية له. ومع ذلك فقد ذهب كامل كيلاني إلى الشاعر أحمد شوقي وأفهمه أنه قام بالعمل كله وسأَلَهُ قصيدة يصدر بها الديوان، فكتب شوقي:

يا ابن زيدون مرحباً ... قد أطلت التحجّبا
إن ديوانك الذي ... ظلّ سرّاً محجّبا
يشتكي اليُتْمَ دَرّه ... ويقاسي التغرّبا
جاءنا «كاملٌ» به ... عربياً مهذّبا
تجد النص معجباً ... وترى الشرح أعجبا

ونشرت القصيدة في أول الديوان، واستشهد الشيخ عبدالرحمن - وكان رجلاً ورعاً تقياً - بشقيقه الشيخ عبدالفتاح خليفة - وكان ورعاً تقياً كأخيه - فشهد بأن كاملاً لم يكتب حرفاً واحداً مما هو موجود بين دفتي الديوان. وإن ما وقع لم يكن إلَّا نتيجة شطارة كامل كيلاني وتطبيقاً للبيت الذي كان يترنم به:

قليل من التهريج يحمي كفايتي
ويرفع مني بعض ما خفض العلم

واتجه كامل كيلاني إلى كتابة القصص للأطفال، والحق أنه في هذا الميدان رائد وسابق غير مسبوق، لأنه ثقف الأطفال عن القصص ولقنهم من كلمات اللغة وأساليبها وتعبيراتها الشيء الكثير، ولا تزال مكتبة الأطفال التي ألفها أو ترجمها كامل كيلاني وطبعها آنق طبق وأجمله تستهوي عقول الأطفال والناشئة حتى يومنا هذا.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن الاتجاه إلى الكتابة للأطفال يسبق قليلاً في الزمن - كامل كيلاني، لأن المرحوم الحاج/ محمد الهراوي نظم ديواناً من الشعر في عدّة أجزاء للأطفال هو «سير الأطفال» وطبعة طباعة أنيقة، وكان من بين الكتب الأثيرة عندي وأنا طفل صغير في العشرينات من هذا القرن.

وقد جعل الهراوي كتابه متدرجاً في الصعوبة من

الطفل اللاثغ حتى الغلام العاقل واختار الشعر، أسهل البحور وأيسرها وأكثرها موسيقى ونوعه بين الأجوزة السهلة والقصيدة البسيطة والنشيد الواضح الإيقاع..

ثم كان من مساعي كامل كيلاني «ومناوراته» أنه اتصل بناس من البلاد الأجنبية، ولقد رأيت في مكتبه كثيراً من طلبة العلم في الأزهر من الصين والملايو والهند وإيران، يكرمهم ويحتفي بهم، ويزين لهم ترجمة قصصه إلى لغاتهم رأيت بعض هذا بنفسي وسمعت عن بعضه من ثقات الأصدقاء والزملاء.

لكنني مع هذا لا أقلل من فضل هذه القصص في تثقيف أبنائي وبعض أقاربي؛ إذ كان المرحوم/ كامل كيلاني قد تفضّل فأهدى إليَّ مشكوراً مجموعة كاملة منها.

وإذا كان أنصار محمود بيرم التونسي قد أشاعوا أن شوقي سمع بعض أزجاله فقال: «أنا لا أخاف على الفصحى إلَّا من بيرم» فإن مكتب كامل كيلاني بشارع

حسن الأكبر قد انبعثت منه إشاعة تقول: «إن شوقي قال: كاملاً كيلاني كعقرب الثواني، قصير ولكنه سريع...»، وللتاريخ نقول إن هذا كله نسب إلى شوقي بعد أن غادر الدنيا ولقي ربه!

وفي سنة ١٩٤٦ أي منذ ثلاث وعشرين سنة قدّر لي أن أنتقل إلى وزارة الأوقاف سكرتيراً خاصاً وبرلماناً لوزيرها آنذاك المرحوم إبرهيم دسوقي أباظة..

وهناك التقيت بنخبة من أدباء مصر منهم الدكتور/إبرهيم ناجي، ومحمود[١] عماد وعلي شوقي ومحمد[٢] مصطفى الماحي وكامل كيلاني ونجيب

(١) أقول: شاعر في عصر النهضة الشعرية في مصر(١٨٩١ – ١٩٦٥)، تجاهلته كتب التراجم!، وردت ترجمته في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين ١٩ و٢٠، كان عضواً في جماعة أبولو، له ثلاثة دواوين.

(٢) (١٨٩٥ – ١٩٧٦) شاعر رقيق الإحساس، مشبوب العاطفة، وُلِدَ بدمياط (مصر).

أقول: له ديوان شعر ضخم (مصادر الدراسة الأدبية مع الاختصار).

محفوظ وعباس محمود مترجم الإسلام والتجديد «لآدامز» وكان مكتبي قريباً من مكتب كامل كيلاني فكنت أكثر من زيارته وكان يكثر من زيارتي لكنه كان إذا حضر الوزير يدخل مكتبه فيطيل المكث فيه ويكاد يمنع من عداه من الأدباء في الوزارة من الدخول إلى الوزير، مما دفع إبرهيم ناجي أن يدس في أوراق الوزير ورقة فيها هذان البيتان:

يا أكرم الوزراء أنت شأوتهم
ورجحتهم في كفة الميزان
أفسحت للشعراء صدرك حانياً
ووسعت حتى كامل الكيلاني

وبلغت هذه الأبيات الأستاذ كامل الكيلاني فكان لها أثرها في تقليل زياراته للوزير وتقصير مداها.

ومن الإنصاف أن نقرر أن كامل كيلاني كان في عمله

مثالاً للموظف الدقيق الأمين الحريص على مصالح الناس، المنجز لأعماله على أحسن وجوهها..

كان لكامل كيلاني اهتمامات بنواح مختلفة من الأدب، فقد اهتم بابن الرومي ونشر جزءًا من شعره، ووضع لقصائده ومقطوعاته عناوين، ونشر بعض آثار أبي العلاء وشرحها وقدم لها، وجمع بعض مقالاته ودراساته في كتاب سمّاه «صور جديدة من الأدب العربي» كتب الدكتور/طه حسين مقدمته له وفي آثاره كله تجد تاريخاً وأدباً وعلماً وبحثاً وجُهداً مبذولاً. وكان كثير الإنتاج غزيراً، ولاسيما في مكتبة الأطفال، ولاحظت أنه يجهد نفسه ولا يمنح جسمه الراحة الكافية فأشرت عليه أن يرعى حق بدنه عليه فقال: إنني مسؤول عن إعاشة نيف وعشرون نفساً. فسألت الله أن يعينه على الجهاد في سبيلهم.

اثنان من أدباء عصرنا لا تذكر أحدهما إلَّا ذكرت

الآخر: سيد إبرهيم الخطاط وكامل الكيلاني، نشآ معاً في حي واحد من أحياء القاهرة وقرآ معاً الشعر القديم، واهتمّا معاً بأبي العلاء وابن الرومي، وكلاهما قصير أو كعقرب الثواني فيما هو منسوب إلى شوقي، وأخيراً فإن خط الأستاذ/سيد إبراهيم سهل المهمة على كامل كيلاني في إبراز قصصه أنيقة جميلة شائقة.

* * *

٨) عبد العزيز فهمي[1]



عبدالعزيز فهزي
المصدر: الأعلام، الجزء الرابع، ص ٢٥

في أوائل عام ١٩٤٩ أخبرني صديقي وزميلي الأستاذ/ عبدالفتاح الشناوي أن عبد العزيز فهمي باشا يريد أن يراني في منزله، ولما كانت لا تربطني بالباشا أيّة صلة، ولم يسبق له أن رآني أو تحدّث إليَّ، فقد استغربت للأمر أيّما استغراب، وألححت على صديقي أن يجلو لي هذه المسألة، فقال: إنه يريد أن يناقشك في مسائل من الأدب واللغة والنحو، فأخذت منه عنوان المنزل وذهبت وحدي، واستأذنت في الدخول فأذن لي فدخلت، وصعدت إلى الدور الثاني، وفي إحدى غرفه كان يرقد

(١) وُلِدَ عام ١٢٨٧هـ = ١٨٧٠، وتوفي عام ١٣٧٠هـ = ١٩٥١، (الأعلام للزركلي، المجلد الرابع، ص ٢٤ و٢٥).

عبد العزيز فهمي كأنما هو كومة من العظام، وكان وقتذا يدلف إلى الثمانين من عمره..

حييت وجلست، وأكرمني الباشا بكلمات حفاوة وتقدير، دخل منها إلى الموضوع الذي استدعاني من أجله مباشرة، فقال: إنه نظم قصيدة طويلة ويريد أن يسمعني إيّاها ليعرف رأيي في معانيها ومبانيها، وانطلق الباشا ينشد من الذاكرة مستهلاً القصيدة بقوله:

يا حادي العمر أبعدت المدى فمتى
تلقى عصاك وتعفيني من الكبدِ
تسع وسبعون ميلاديةٍ غبرت
قضيتها بشقاء الروح والجسدِ
إن سامني الطبع إخلاداً إلى دعةٍ
صالت على الأماني صولة الأسدِ

وفي ترويد جميل ليس فيه شيء من اللحن على الإطلاق، واستمر الترويد والإنشاد حوالي ساعتين، قرأ

فيهما ما يقارب أربعمائة بيت من الشعر على وزن واحد ورويّ واحد، وكنت أُدَوِّن بعض الملحوظات في أثناء القراءة، واستأذنت عبد العزيز فهمي أن تكون مناقشتنا في الليلة التالية وانصرفت..

وفي الليلة التالية حضرت وناقشت واستطعت أن أُقْنِع الباشا برأيي في نقطتين أو ثلاث من النقط التي كنت أعددتها للمناقشة..

وهذه القصيدة المطولة سمّيناها المعلّقة الحادية عشر، وكانت تتضمن أغراضاً شتّى، وتعرّض بعض آراء صاحبها في الحياة والناس، ومن أمثلة ذلك قوله في الصحافة على عهده:

أُمَيَّةٌ مهروها مهر قارئةٍ
ودلّلوها فلم تحمل ولم تلدِ
ما أنجبت ولداً أو أثمرت خلقاً
والعُقْم في الخلق شرّ منه في الولدِ

وعلمت أنّ بعض أقاربه قد طبعوا هذه القصيدة بعد وفاته في كتيب صغير.

وتوالت بعد ذلك زياراتي لعبد العزيز فهمي، وكانت كل يوم تقريباً، وسمعت منه كثيراً من الآراء والتعليقات حول الشخصيات التي عاصرها أو عاصرته وحول حقائق التاريخ الذي مرَّ به عبد العزيز فهمي.

والذي يريد أن يكتب عن عبدالعزيز فهمي يجد أمامه رجلاً تمثّل حياته جزءًا حيّاً من تاريخ أُمَّته، لكن هدفنا ليس هو جلاء الجانب السياسي من حياة عبدالعزيز فهمي، فإننا سندعه إلى كتب التاريخ، وإنما نتحدّث عن شخصه وثقافته وأثره في جيله..

كان عبدالعزيز فهمي زميلاً لأحمد لطفي السيد في أكثر من مجال، فهو زميله في المدرسة الخديوية الثانوية، وزميله في مهنة المحاماة فترة من الوقت، وزميله في النيابة، ثم زميله في العمل السياسي لمدة طويلة..

ويذكرون أن عبد العزيز فهمي كان محامياً من الطراز الأول، يعتد بكرامته، وقف مرّة يترافع أمام قاض إنجليزي اسمه المستر بوند فلم يحسن بوند الإصغاء إليه وأولاه ظهره، فاحتج عبدالعزيز فهمي وأعلن أنه سينسحب من الجلسة إذا لم يعتدل القاضي في مجلسه، فاعتدل القاضي مرغماً..

وقالوا: إن قاضياً إنجليزياً آخر رآه ضئيلاً نحيلاً، فأحب أن يداعبه فقال: إنني أستطيع أن أضعك في جيبي، فقال عبدالعزيز على الفور وبلا تردد: إذن يكون الفقه الذي في جيبك أكثر من الفقه الذي في رأسك، واضطر القاضي إلى الاعتذار.

وقد أَهْدىٰ إليَّ عبدالعزيز فهمي كتابه «مدونة جوستنيان في الفقه الروماني» بترجمته إلى العربية، وفيها ترجم مصطلحات الفقه والقضاء ترجمة الخبير العليم.

واختير عبدالعزيز فهمي عضواً بمجمع اللغة العربية فكان له فيه حادثان يرويان: الأول: أنه قدّم مشروعاً بإصلاح الحروف العربية يتضمّن إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف التي تكتب بها الآن، اقتداء بتركيا حين كتبت التركية بحروف لاتينية. وقد طبع رأيه هذا في كتيب صغير قال في مقدمته:

«ومن الناس من يتساءلون كيف يمرّ بخاطري - وأنا ممن يعتزون بقوميتهم وبلغتهم العربية - إن استبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية لرسم الكتابة؟

فلهؤلاء المتسائلين كل العُذْر، لكني أعرف أيضاً كيف أفهم واجبي وأؤيده في أي وضع أكون: تركت العمل وعدلت على قضاء ما بقي من زمني بقريتي هادئاً، بعيداً عن المغامرات والمساجلات والمناصبات في أي منحى من مناحي الحياة العامة لكن - لشقوتي - لم

يذرني القدر أهدأ، بل فوجئت في عزلتي بتعييني عضواً في مجمعنا اللغوي، ترددت بين القبول والرفض في القبول مشقة، وفي رفضي المقدور عليه في ظن الناس بالشبه فرار الجبان وفكرة الجبن شرّ ما تضيق به نفسي، قبلت على مضض معلِّلاً النفس بأن الأمر خدمة العربية بمعهد هادئ بين نُخْبة من خيرة علمائنا وأدبائنا الأفاضل، إن قصرت في مجاراتهم كان لي من رجاحة عقولهم ورحابة صدورهم وكرم أخلاقهم ما يسع قصوري أو تقصيري ولا يشعرني بشيء من قلة غنائي»..

ثم قال بعد أن بيَّن واجبات عضو المجمع:

«ولا سبيل في رأيي لتأديته – أي واجب تيسير الكتابة تيسيراً يقي السنة قرائها من اللحن والخطأ – إلَّا باتخاذ الحروف اللاتنية وفيها حروف الحركات – لا إطلاقاً بل على وجه خاص رأيته – أما الشكل الكلي أو الجزئي أو ما رآه البعض من حروف أو طنبات توضع

للحركات في غضون الرسم فقد فكرت فيه كثيراً ولم أجد شيئاً منها صالحاً».

لكن جماعة من أعضاء المجمع وعلى رأسهم العقّاد ناهضوا المشروع بقوة فأسقطوه ولم يقدر لمشروع الكتابة بالحروف اللاتينية أن يخرج إلى الوجود، أن يطفو على سطح الحياة الثقافية أو التعليمية بعدها..

ولعلَّ قصة كتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرازق من أبرز الحوادث في حياة عبدالعزيز فهمي فقد كان هذا الكتاب على صغر حجمه سبباً في إقالة وزير، واستقالة ثلاثة من الوزراء، تضامناً مع عبدالعزيز أحدهم أرسل استقالته برقياً من أوروبا هو إسماعيل صدقي..

كان ذلك في سنة ١٩٢٥ وعبد العزيز فهمي وزير للحقانية - العدل - والشيخ علي عبد الرازق قاضي بمحكمة المنصورة الشرعية، وقد ألَّف الشيخ علي كتابه

وذكر فيه من الآراء ما يتعارض مع بعض آراء أولي الأمر، فتقدّم بعض الأزهريين بدعوى أمام مجلس الأزهر الأعلى يطلبون تجريد الشيخ علي من درجة العلمية، وحكم المجلس بتجريده من درجته العلمية، وأرسلت نسخة من الحكم إلى وزير الحقانية عبد العزيز فهمي ليكون من مقتضى تنفيذها أن يطرد الشيخ من وظيفته القضائية. لكن عبدالعزيز فهمي كتب إلى رئيس أقلام قضايا الحكومة يسأله عن قيمة الحكم وهل مثله مما يجب على وزارة الحقانية تنفيذه؟!

لكن أولي الأمر لم يشاؤوا أن ينتظروا إجابة المستشار فطردوا عبدالعزيز من الوزارة، وجاء خلفه فوقَّع على الفور قراراً بطرد الشيخ علي عبد الرازق من وظيفته. لأنهم كانوا يعلمون أن المستشار لا يمكن أن يفتي بطرد قاض أبدى رأياً من وظيفته..

كان عبد العزيز فهمي يحب الأدب ويحترم أهله، ولا يقدم عليهم أحداً في مجلسه، ويكفي للتدليل على

اهتمامه بالأدباء أنه رفض مرة أن يقبل التوكيل في إحدى القضايا لضعف صحته، وذهب إلى الريف للاستجمام، وهناك جاءه خليل مطران يرجوه أن يقبل التوكيل في القضية، لأن المتهم فيها صديق عزيز للشاعر خليل مطران، فينسى عبدالعزيز فهمي صحته ويترك استجمامه ويقبل الوكالة مرضاة لخليل مطران.

ويتهم الأستاذ/ إبراهيم عبد القادر المازني في قضيته صحيفته؛ إذ كتب مقالاً رأت فيه النيابة العامة مساساً بشخصية سعد زغلول رئيس مجلس النواب في ذلك الحين، ووسط المازني علي ماهر ليرجو عبدالعزيز فهمي أن يترافع عنه، لكن عبدالعزيز يقبل، ويترافع ولا يأخذ أي أجراً على هذه المرافعة، لأن المتهم هو الأديب الكبير «إبراهيم عبد القادر المازني»..

إن النَّشأة الأزهرية الأولى لعبد العزيز فهمي، وحفظ القرآن الكريم في كُتَّاب الشيخ أبي زينة بكفر المصيلحة من أعمال محافظة المنوفية، وقد تركت آثار بعيدة المدى

في ثقافة عبدالعزيز فهمي وأسلوبه، ومن يقرأ مجموعة أحكامه في محكمة النقض والإبرام يجد نمطاً عالياً من التفكير والتعبير معاً.

حدَّثني الأستاذ/مصطفى مرعي أنه حين عُيِّن مستشاراً في محكمة النقض ذهب يسأل عبدالعزيز فهمي: كيف تسنَّى له أن يكتب هذه الروائع؟ وكيف يتسنّى له أن يكتب مثلها أو قريباً منها، فوجهه إلى كتب الشافعي في الفقه والأصول، وإلى تفاسير القرآن الكريم، وإلى كتاب ايساغوجي في المنطق، ثم إلى كتب التراث في الأدب العربي القديم..

* * *


إبراهيم ناجي بن أحمد ناجي
المصدر: الأعلام، الجزء الأول، ص ٧٦.

٩) د. إبراهيم ناجي[١]

كان الدكتور/ إبراهيم ناجي رحمه الله من ظرفاء عصره بلا نزاع، وكان مجلسه لا يكف عن الضحك، لأنه كان يطلق النكتة في أثر النكتة دون توقّف، ولأنه كان ساخراً من كل شيء حتى من نفسه، التي أصابها رشاش من بعض نكته في كثير من الأحيان..

---

(١) وُلِدَ عام ١٨٩٨ وتوفي عام ١٩٥٣ (كما في مصادر الدراسة الأدبية).
وللأستاذة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد كتاب عنه، وكذلك للأستاذ وديع فلسطين، وقد ترجم له في كتابه وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره، الصادر عن دار القلم.
وكذلك في كتابه الآخر (من مقالات وديع فلسطين في الأدب والتراجم)، الصادر عن مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس – للتراث الأدبي – الكويت.

وكان ضئيل الجسم نحيلاً، ليس في وجهه ولا في جسمه امتلاء، يعلوه - منذ عرفته في الثلاثينات - شحوب لم يفارقه حتى مات..

قرأت له في السياسة الأسبوعية، وسمعت به، ولكنني لم ألتقِ به إلَّا بعد ذلك بنيف من السنين..

أول اتصالي به كان عن طريق البريد؛ إذ تغيبت عن المدرسة عدّة أيّام فطالبتني المدرسة بشهادة طبية تقول إني كنت مريضاً، فلجأت إلى ناجي وكتبت إليه رسالة أطلب فيها هذه الشهادة، وذيّلتها بأبيات هزلية من الشعر في الموضوع لا أذكر منها إلَّا ما يأتي:

قد قصدنا أبا المكارم ناجي
فسناه عنا سيمحو الدياجي
وسألنا شهادة من طبيب
لتقينا مرارة الإحراج

وفي آخرها:

فاكتـــب اليـــوم إننـــي ذو ســـقام
بـــــصداع يلـــــحّ أو خـــــراج

ووضعت الرسالة في صندوق البريد وما هي إلَّا ثمان وأربعون ساعة حتى جاءتني رسالة بالبريد منه وفيها الشهادة المطلوبة ومعها أبيات لا أذكر منها إلَّا هذا البيت:

امـرض كمـا شـئت إنـي جـاهز أبـداً
بمـــا تريـــد لـــدينا مـــن شـــهاداتِ

ثـم عرفـت نـاجي عـن كثـب فـي دار جمعيـة أبولـو ومجلتها، وزرته في عيادته بشارع شبرا على ناصية شارع ابن الفرات، والذي استبان لي من هذه اللقاءات أن ناجي كان رجلاً طيباً فتوح[1] الصدر لكل إنسان، سهل التأثر بما يلقى إليه، ولهذا انضم إلى جماعة أبولو في

(١) ؟!

مخاصمة العقّاد وكامل كيلاني دون أن يقدّم أحد إليه إساءة، وحتى دون أن يتناولا شعره بالنقد السهل أو العنيف..

كنت تحس دائماً وأنت تحدثه وهو يحدثك أنه فقير إلى الجنس الآخر، لا يكاد يسمع باسم امرأة جميلة أو متوسطة الجمال حتى يبادر فينظم فيها شعراً، ويسبح خياله معها في دنيا يصنعها لنفسه..

معظم ممثلات عصره، كُنّ يعرفن فيه هذه الخصلة، فكن يلقينه ويتحببن إليه، فإذا هو ينظم في هذه وفي تلك وفي غيرهن معاً وفي وقت واحد شعراً في الغزل والهيام والحب والغرام، رأيته مرّة في مجلة «الأسبوع» التي كان يصدرها الأستاذ الأديب إبرهيم المصري، فأخرج المصري من درج مكتبه مجلة أجنبية من تلك التي تعنى بنشر صور الغانيات عاريات وغير عاريات، وقَلَّبَ المصري صفحات المجلة ثم وقف عند صورة لامرأة عارية وأبدى إعجابه الشديد بها، ثم ألقى بها إلى

ناجي، وقال له: هذا هو الجمال الذي يقال فيه الشعر، فلم يكذب ناجي رحمه الله خبراً، وأخذ ورقة وقلماً وتتمتم قليلاً، وبعد بضع دقائق قدَّم إلى صديقه قصيدة غزلية رقيقة في الصورة!

من أجل ذلك كان أبو شادي رحمه الله يهيّج شهية صاحبه لقول الشعر باستدعاء بعض الآنسات والسيدات إلى مكتبه ليجلسن مع شاعر الرقة العاطفية في عصره إبرهيم ناجي، وليتحدثن إليه حديث الشباب والحب والمرح، فيكون من ذلك حصيلة طيبة من الشعر العاطفي تنشرها مجلة «أبولو»..

هذا ولا شك تعليل قد يكون مقبولاً لكثرة حبيبات الشاعر اللاتي ورد ذكرهن في دواوينه، أو في أحاديثه من أصدقائه وأحبائه..

وهو تعليل مقبول أيضاً لكثرة شكواه من موت الحب في شرخ شبابه، وندبه وبكائه على أطلال هواه..

وهذا ولا شك تعليل مقبول للظاهرة التي شاعت بعد أن غنّت أم كلثوم الأطلال حين قامت أكثر من واحدة تدعي أن القصيدة قيلت فيها، والحقيقة أنها قيلت فيهن جميعاً، لأنها أصداء جوعته إلى الجنس الآخر، وإصدار لهفته إلى النساء وإلى الهوى، ومن ثم فأنت لا تستطيع أن تصنع من شعره الغزلي إطاراً فنيّاً ثم تضع فيه واحدة بعينها ممن ادعين هذه القصيدة، وإنما تستطيع أن تضعهن جميعاً في هذا الإطار، وقد تستطيع أن تضع معهن سواهن من ربات الحجال!

كانت موضوعات الحب تستهويه فينصرف إليها عن كل شيء، هذا صديقنا الشاعر «أ. م» يجلس على مقهى مع فتاة من أصدقائه، ويطلبان مشروبات، هي تظن أنه سيدفع أثمانها فهذا واجب الرجل، ولهذا لا تستعد بمال، وهو يظن أنها ستدفع وينسرب هذا الظن إلى نفسه من خلو جيبه ويقع العاشقان في مأزق عجيب، ويتكاشفان بالإفلاس وخوف الفضيحة بين الناس..

ويمضي الشاعر إلى الهاتف يستنجد بصديقه الشاعر إبرهيم ناجي، ويشرح له الأمر في إيجاز، فيسارع ناجي إلى نجدتهما، ويدفع أثمان المشروبات لنادل المقهى وهو يغرق في الضحك، ويفك أسر الحبيبين المفلسين، بعد أن يظفر بجلسة قصيرة مع الحبيبة والحبيب!

كانت عيادة الدكتور ناجي كأنها مستشفى مجانية للأدباء والشعراء والفقراء، ولم يقل أحد أنه كان طبيباً فاشلاً، بل كان من أحسن الأطباء ثقافة وتتبعاً للحركة العلمية في الطب، ولهذا كانت عيادته مزدحمة أبداً، لكن ما كانت تحصِّلهُ، كان ناجي ينفِقُ معظمه على الأدباء والفقراء فلا يبقى في يده منه إلَّا القليل...

جاءه مرّة مريض، فلما فحص عن علته لم يجده مريضاً بغير الجوع والفقر، فوصف له العلاج زوجين من الدجاج، وأعطاه جنيهاً ليشتري هذا الدواء..

جاءته مرّة فتاة تعلّقت به وبشعره وأدبه، فكانت تكثر من التردد عليه ومعها جارية من خدمها تنتظرها ويطول

مكث الفتاة مع ناجي في غرفة الطبيب، فلا تجد الجارية ما تتسلى به إلَّا أن تحدث «بشيراً» خادم العيادة، ويتطور حديث الجارية وبشير إلى حب أو مقدمات حب، ويكشف ناجي الأمر فيقول لصاحبه حسن كامل الصيرفي:

وأحبها وتحبني ويحب«جاريتها» بشيرى!

ثم عرفت ناجي عن قرب أكثر حين زاملته في وزارة الأوقاف، لكني لم أحمد منه في هذه الوزارة أن جعل شعره فيها مطية للدرجات والعلاوات والترقيات، صحيح إنه كان يحب بعض الوزراء الذين مدحهم واسترفدهم، ولكن الشعر الذي قاله في هذا الباب لا يتنبض فيه الصدق في كل حال، كأن يقول:

إن لم تضغني في يمينـ
ـنك فالتفت لي في شمالك
الرأي رأيك ليس في الـ
أوقاف شيء غير ذلك !

ومن طرائف ناجي ما وقع بينه وبين الشاعر محمود غنيم حول قصة الردنجوت، ذلك أن حفلة أقيمت ودُعِيَ إليها كبار الشعراء، وكان من الضروري أن يحضروا بالردنجوت، فحضروا جميعاً يلبسونه إلَّا الشاعر محمود غنيم الذي كتب يقول:

الردنجوت يا جناب الوزير
ليس يقوى عليه جيب الفقير
رمت أن أستعيره مثل ناجي
ثم أحجمتُ خوف مَنِّ المعير
كما رأينا القصير فوق طويل
ورأينا الطويل فوق قصير

وذلك أن الردنجوت الذي كان يلبسه ناجي بدا طويلاً عليه، يكاد يلامس الأرض، فاغتاظ ناجي لما قال صديقه وفاجأه في إحدى الحفلات بقصيدة رائعة يقول فيها:

فهــل ناقــل غنــي الغــداة وناشــر
مقالــة صــدق قــد أبــت أن تحرَّفــا
حــديث غنــيم والردنجـوت والــذي
جـرى بيننـا مـا كنـت بـالحق مرجفـا
بصرت به والصحن بالـصحن يلتقـي
فلــم أر أبهــى مــن غنــيم وأظرفــا
تــراءى لــه لحــم فلــم يــدر عنــده
«تَدَيْكَكَ» من بعد الطّوى أم «تخرَّفا»
وأومــأ لــي بــاللحظ يــسألني بــه
أتعرفــه؟ أومــأت بــالحظ ســعفا
وقدمتــه للــديك وهــو كأنمــا
يطيــر إليــه واثبــاً متلهفــا
غنـيم! أخونـا الـديك عرفـت ذا بـذا
فهــذا لهــذا بعــد لأي تعرَّفــا
ومــا هــي إلَّا لحظــة وتغــازلا
وقــد رفعـا بعــد الـسلام التكلُّفـا

ثم يقول:

تُعَيِّــر نــاجي بــالردنجوت جــاءه
معــاراً فغــامر واســتعر أنــت معطفــا

وأقــسم لــو أن الردنجــوت نلتــه
وجــاد بــه مــن جــاد كرهــاً وســلفا

لقلبتــه ظهــراً لــبطن محيّــراً
بــه تحــسب الوجــه مــن «عــبط» قفــا

لكن غنيماً لم يشأ أن يهاجمه الصديق إبرهيم ناجي دون أن يرد عليه، فارتجل هذه الأبيات ونحن على المائدة قال:

لنا طبيب يداوي الناس إن مرضوا
بالفــصل مــا بــين أرواح وأبــدانِ

ومن تجرع كأس الموت من يده
فلــن يمــر علــى جنَّــات رضــوانِ

رد الردنجــوت موبــوءاً لــصاحبه
فلــم يطهــره محلــول الــسليماني

ولناجي هجاء كثير أشهره ما قاله في عبد الحميد الديب وما قاله في زكي مبارك، أما ما قاله في عبدالحميد، ففيه يقول:

رجـــلاً أرى بـــالله أم حـــشره
ســبحان مـــن بعبيـــده حـــشره
يــا فخـــر درويـــن ومذهبــه
وخلاصـــة النظريـــة القـــذرة
أرأيـــت قـــرداً فـــي الحديقـــة قـــد
فلَّتـــه أنثـــاه علـــى شـــجره
عبـــد الحميـــد اعلـــم فأنـــت كـــذا
مـــا قـــال داروين ومـــا ذكـــره
يـــا عبقريـــاً فـــي شـــناعته
ولـــدتك أمـــك وهـــي معتـــذره

أما زكي مبارك فقد عق ناجي، وكفر بمودته فقال فيه[1]:

أيها الحي وما ضر الورى لـــو كنـــت متـــا

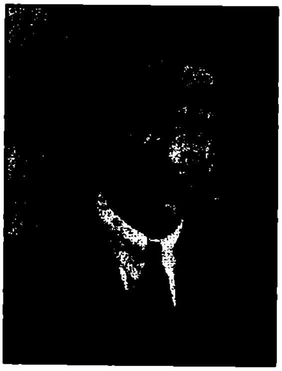
(١) أي ناجي الذي قال.

أو شـــــــعر ذاك لا　　بـل حجـر نحَّـتَّ نحتـا
تلقـم النـاس وترمـيـ　　ـهم بـه فوقـاً وتحتـا
صـحت مـن يأسـيَ لمَّـا　　بركيـك الـشعر صـحتا
آه يـا قاتِـلُ يـا سـفَّا　　كُ حتـى أنـت؟ حتـى!

قال لي طبيب الأسنان المعروف الدكتور تملي قلدس، وعيادته مواجهة تماماً لعيادة الدكتور/ناجي إنه في مساء اليوم الخامس والعشرين من مارس سنة ١٩٥٣ سمع صراخاً وعويلاً ينبعثان من عيادة جاره الدكتور ناجي، فأسرع إليه فإذا هو ملقى على الأرض وقع وهو يفحص مريضاً من مرضاه والسماعة في يده..

وسكن القلب الكبير، ومشينا في جنازته في اليوم التالي من محطة كوبري الليمون بميدان باب الحديد بالقاهرة، وصلّينا عليه في مسجد قريب من مستشفى صيدناوي ثم حمل الجثمان ليرقد في مسجد جدّه الكبير لأمه الشيخ عبدالله الشرقاوي قريباً من مسجد الإمام الحسين رضي الله عنه..

* * *


صورة نادرة لزكي مبارك
(الدكاترة)!
المصدر: كتابه الأخلاق
عند الغزالي

١٠) د. زكي مبارك[١]

تأثر الأدب في مصر بأحداث السياسة، بعد ثورة سنة ١٩١٩، حينما هبَّ الشعب المصري مطالباً بحريته بقيادة الزعيم سعد زغلول.

وفي سنة ١٩٢١ تشعبت البلاد أحزاباً، وصدرت صُحُف كبيرة، وكان لكل حزب سياسي صحيفة أو أكثر تنطق بلسانه، واجتذبت الصحافة إليها الرعيل الأول من أدباء ذلك الحين، فكان العقّاد صحفياً، وكذلك كان طه حسين وإبرهيم عبدالقادر المازني والدكتور/ محمد حسين هيكل وغيرهم. وفي ظل السياسة ترعرع الأدب، فقامت

(١) أعتقد أن أول كتاب مستقل يؤلف عن زكي مبارك هو كتاب أستاذنا الشاعر الأديب المخضرم فاضل خلف عام ١٩٥٧.
وكذلك هناك العديد ممن كتب عنه.

صحيفة «البلاغ» بإصدار صحيفة أسبوعية أدبية ثقافية هي «البلاغ الأسبوعي»، وكذلك فعلت صحيفة «السياسة» حين أصدرت «السياسة الأسبوعية»..

وجاء الثلاثينات من هذا القرن، وقد انقسم حزب الوفد، فخرجت من صفوفه طائفة، جعلت من صحيفة «البلاغ» لساناً لها، واضمحلت «البلاغ» بعدها، فتوقفت ربيبتها «البلاغ الأسبوعي»، وصارت «البلاغ» صحيفة الأقلية... هناك استعان صاحبها الأستاذ/ عبد القادر حمزة بطائفة من الأدباء يمثلون رعيلاً ثانياً في حياتنا الأدبية والثقافية، وعلى رأس هؤلاء الدكتور/زكي مبارك، والأستاذ/عبدالله عفيفي، وكان الدكتور/زكي مبارك يكتب تحت عنوان ثابت هو «الحديث[١] ذو شجون»، أما عبدالله عفيفي فأشهر سلسلة كتبها هي «مصر الشاعرة»، في هذه الفترة عرفت زكي مبارك، وعرفت من بعض الأصدقاء أنه يرد على رسائل الناشئين

(١) صدر في كتاب فيما بعد.

من الأدباء إليه، فكتبت إليه رسالة أمتدح فيها بعض ما كتب في «البلاغ» وأعلّق عليه... فردَّ عليَّ ردّاً لم تقبله نفسي أول الأمر؛ إذ قال: «تلقيت رسالتك بما تستحق من القبول»، وكأنه لم يرضَ عن رسالتي إليه فأجابني بهذه الإجابة الجافة..

وقرأت له في هذه الفترة «مدامع العشّاق»، فأرضت مراهقتي وعاطفتي أكثر مما أرضت عقلي وتفكيري؛ إذ كنت أميل إلى الكتابة التي تعالج قضايا الفكر ومشاكل النفس.

ولكنني مع هذا كنت معجباً بزكي مبارك، لأنه كان يمثّل في نظري الفارس المتحدي دائماً، يشرع قلمه ويدعو خصومه إلى المبارزة، ويطلق فيهم عبارات السخرية والتهكّم، ثم يضفي على نفسه صفات المدح والعظمة، ثم لا يهمّه بعد ذلك وكيل ولا وزير، واشتهر في محيط الأدب باسم الدكاترة زكي مبارك، لأنه نال من

مصر درجة الدكتوراه، ثم نال من فرنسا أخرى، وذهب للتدريس في العراق، فعلا نجمه. وعَظُمت شهرته، وعاد ليكتب في مجلة «الرسالة» سلسلة من المقالات تحت عنوان «ليلى المريضة[1] في العراق»، لقيته أول مرة في «رابطة الأدب العربي» وكان مقرها عمارة[2] تيرنج بالعتبة الخضراء في حفل أقيم تكريماً لأديب من أدباء المهاجر الأمريكي، فأثنى على المحتفل به ثم أثنى على نفسه وجلس يصفِّق له الحاضرون طويلاً، ولقيته بعدها في مكتب تفتيش اللغة العربية بوزارة المعارف العمومية، في مكتب الأستاذ/علي الجارم الذي كان كبيراً لمفتشي هذه اللغة، وأشهد لقد زكّاني الدكتور/زكي مبارك لدى كبير المفتشين وأطال في الثناء عليَّ حتى أخجلني... ولكنه حين رأى أنني لم أظفر لدى كبير

---

(١) صدر في كتاب من ٣ أجزاء.

(٢) من أشهر البنايات في قلب القاهرة صمَّمها المعماري النمساوي «أوسكار هورويتز» عام ١٨٩٥ . (عن شبكة الإنترنت).

المفتشين بالوظيفة التي كنت أرجوها، اصطحبني معه وخرج إلى الشارع ونصحني قائلاً: لقد أعجبني موقفك اليوم في طلب الوظيفة مع الشموخ، ولم تفعل ما فعله غيرك من الضراعة، والتذلّل، وأنا أوصيك أن تثبت على موقفك وستنال حقك بهذا الثبات.

ثم كان بعد ذلك أن زكّاني لدى مدارس الفرير ورشّحني أستاذاً للغة العربية بكلية سان مارك بالشاطبي برمل الإسكندرية، ولكنني فضّلت مدارس الحكومة شاكراً له هذه الأريحية الكريمة..

وتراخت بيننا المودة، فلم ألقه بعد ذلك إلَّا في سنة ١٩٤٧ حين اشتركت في إنشاء «جامعة أدباء العروبة» برئاسة الوزير الأديب الأستاذ/إبرهيم دسوقي أباظة واقترحت دعوة الدكتور/زكي مبارك ليكون أحد خطباء الحفل الأول للجماعة، وهو حفل الاحتفاء بِمَقْدَم الربيع الذي أقمناه بحدائق القناطر الخيرية في أبريل سنة

١٩٤٧، وجاء زكي مبارك ليلقي قصيدة في الحفل من غرر شعره، غير أنه نسي أن الحفل عام. وأن من شهوده بعض الوزراء والكبراء، فجاء وقد استوفى حظه في الشراب، فما استطاع أن يشعر بحفاوة الوزراء به ولا بتكريم السامعين لشعره البديع..

كان زكي مبارك أديباً ذوّاقاً، لا مراء فيه، وكان عالماً واعياً بلا جدال، ولكنه اتخذ سمتاً في نفوس الناس يجعلهم يستظرفونه ولا يقدرونه، ويستطرفون القول منه، وإن كان لا يرتفع في عيونهم صاحبه، ذلك لأنه في أخريات حياته أكب على الشراب، ففي حانة حقيرة بميدان التوفيقية بالقاهرة كان يجلس على رصيف الشارع ويشرب أحط الأنواع مما يُشرب، ولا يغادرها إلَّا محمولاً أو متكئاً على أحد ممن يعرفونه، ولأنه أيضاً كان يكتب سطراً في الحقيقة التي يعالجها وسطرين في الثناء على نفسه وتقديرها، والإشادة بمواهبه، حتى في الحب

والغرام، فقد كان يقول عن نفسه دائماً: «إنني أشد الناس سطوة على قلوب الغواني...» فيجد الناس أنفسهم لا أمام كاتب كبير، وإنما أمام مضحك كبير[1]..

وشيء آخر يضاف إلى ما تقدَّم، هو أن زكي مبارك كان كثير المشاحنات، كثير الخصومات والشجار، حتى أن الأستاذ/أحمد حسن الزيات حينما أراد أن ينشر صورته في «الرسالة» في أحد أعدادها الخاصة اختار من صوره الكثيرة صورة له يبدو فيها منفوش الشعر يحملق لعدسة المصوّر حملقة عجيبة، كأنما هو خارج لتوه من حلقة مصارعة على الطريقة البلدية!

وفي السنوات العشر الأخيرة من حياته اشتدت به سورة الشراب، واتصل غبوقه بصبوحه، فزعم لنفسه وللناس أنه مغن من طراز رفيع، وأخذ يغني على رصيف

---

(١) ما كان بودّنا إثبات هذه الفقرة، وزكي مبارك في عالم غير عالمنا، غير أنّ الأمانة العلمية تحتم علينا ذلك، ولعلَّه تاب رحمه الله تعالىٰ.

الحانة والناس يتعجَّبون، ويظنهم يعجبون، ويستزيدون سخرية وفكاهة، فيزيدهم جاداً، ويتعاظم الأمر في نفسه، فيذهب إلى الإذاعة ويقابل المسؤولين بها، ويعرض عليهم أن يغني أغنية من تأليفه وتلحينه، ويسجلون له ما يريد ولكنهم يحتفظون بالتسجيل ذكرى عزيزة، لأديب كبير يلعب به الشراب، وتذهب بوقاره الكاس...... ونحاول أن نأخذ نسخة من هذا التسجيل بعد وفاته، فنجده قد عدت عليه عوادي المحو أخليَ الشريط ليستقبل مادة جديدة من مواد الإذاعة!

هذه الحقيقة سمعتها مائة مرّة على الأقل، ومن مصادر مختلفة في الإذاعة، قال بعض روّاتها: والعجيب أن زكي مبارك كان يلحّ في إذاعتها على الناس ويكثر من هذا الإلحاح.

كان أدب زكي مبارك في أغلبه أدب المقالة التي تعالج فنوناً شتّى من الحديث أخذاً من عنوانه الذي اشتهر به «الحديث ذو شجون» وكان قلمه رحمه الله –

صافي الأسلوب نقي العبارة، على أنه كان يقتنص الفكاهة الشاردة من كلمة هنا وكلمة هناك، تبدو وكأنها جاءت بلا تكلّف، كتب عن المرحوم إسماعيل القباني وكيل وزارة المعارف ووزيرها فيما بعد، يقول: في وزارة المعارف «قباني» بلا ميزان، يريد أن يتهمه بالظلم والحيف، وقد ملأ مقالاته بذكر قريته «سنتريس» من أعمال الموفية، وكان يكتب أحياناً فيقرنها بباريس ويقول: «من سنتريس إلى باريس» حتى غدت سنتريس بفضل قلم زكي مبارك من أشهر قرى الجمهورية العربية المتحدة.

ولزكي مبارك ديوان شعر، أجمل ما فيه وصف غربته في باريس حيث يقول:

يا جنة[1] الخلد كيف يشقى في خلك النازح الغريبُ
الناس في لهوهم نشاوى ودمعُهُ دافقٌ صبيب

(١) هذه مبالغة!

يتمادى في الوصف أو الخيال فيقول:

والنـاس فـي غفلاتهـم لـم يعلمـوا
أتـى بكـل حـسانهم مفتـونُ

لكن طه حسين – وهو أستاذه في الجامعة – أراد أن يطفئ فيه هذا الغرور يوماً فكتب ينقد أحد كتبه ويقول: «أَلَّف كاتِب من الكُتّاب كِتاباً من الكتب» هنالك هاج وماج زكي مبارك على أستاذه القديم، وأخذ يكتب المقالات الصافية في تمجيد كتابه «النثر في القرن الرابع» وبيان فضله وعظمته، وفي أسلوب تغلب الفكاهة فيه على الجَدّ. لكنه مع ثورته العاتية لم يكتب في طه حسين لفظاً نابياً أو كلمة مؤلمة، بل وقره كأستاذ وأعطاه حقه كمعلم ورائد.

هذا الغرور الذي ملأ زكي مبارك إعجاباً بزكي مبارك هو الذي يتحدّث عنهُ العقّاد في إيجاز فيقول: إن زكي مبارك لا يستغني عن زكي مبارك بحال إذا استغنى المؤلفون عن أنفسهم في بعض الأحوال، لأن زكي مبارك

هو موضوع زكي مبارك الوحيد، وإذا كتب ألف مقال في هذا الموضوع وقرأت منها واحداً ففي ذلك الكفاية كل الكفاية، ومن ذلك يبدو زكي مبارك أقلّ الكُتّاب شخصية في حياته الكتابية، لأن طابعه غير ظاهر في أسلوبه ولا في نشأته ولا في آثاره.

لم أعرف أنه اتّصل بالعقّاد أو حضر مجلسه، لكنني سمعت منه من زكي مبارك رحمه الله أن تفاضل الأدباء والعلماء جب أن يكون بمؤهلات جامعية عالية معترف بها، لا بقراءات مهما كثرت وتنوّعت. وهي نظرة كان خليقاً بمثل زكي مبارك ألا ينظرها، لأننا لا نقدره بشهادته التي خلعت عليه لقب الدكاترة زكي مبارك، ولا نقدره بأنه كان مدرِّساً أو أستاذاً بالجامعة، فكم من أساتذة ومدرِّسين بالجامعة ضن عليهم التاريخ بسطر أو بعض سطر في صفحة من صفحاته، وإنما نقدره بتراثه العلمي والأدبي المائل فيما ألَّف من كُتُب وما كَتَب من مقالات..

هذه النظرة التي كان ينظر بها إلى الأدباء والكُتّاب تجعله بالقطع لا يرى العقّاد والزيّات والرافعي شيئاً مذكوراً في عالمنا الأدبي، ويرى المازني نصف شيء، لأنه كان يحمل «ليسانس المعلمين العليا»!

وهذه النظرة نفسها هي التي وجهته في الرَّدّ على طه حسين، فقد ذكر له مؤهلاته العلمية من الجامعة المصرية ومن جامعة باريس!

وهذه النظرة نفسها هي التي أوحت له باللقب الذي لقّب به نفسه «الدكاترة زكي مبارك» وهي التي جعلته يضع تحت اسمه على أغلفة بعض كتبه بياناً طويلاً عريضاً بمؤهلاته العلمية العالية..

والنموذج التالي من كتاباته، والذي كتبه في:

خصومة بينه وبين العقّاد يوضح هذه الخصائص في زكي مبارك يقول:

«لقد صبرت طويلاً على تحامل العقّاد وتركته يفرّج

عن حقده [بمناحٍ][1] شتى من وقت إلى وقت بعد أن أجليته عن ميدان الشعر والكتابة والتأليف، ولكنه لم يعرف أني متفضّل بالصبر عليه، ولم يفهم أني لو شئت لفرمته بأقل عناء، والعقّاد الظريف يقول إني حضرت جامعة من الجامعات الفرنسية، فهل يجهل العقّاد أني تخرّجت في السّوربون وأني أملك اللقب الذي يملكه منصور فهمي وطه حسين، ما الذي يمنع العقاد من التخرّج - في السوربون إن كان من أصحاب العزائم والمواهب. والسوربون باقية، فحاول الانتساب إليها يا حضرة المفضال إن أردت. فقد تصير دكتوراً مثلي بعد حين. وقد تصير دكاترة كما صرت أنا. ولن تستطيع.!».

حدثني الدكتور/ناجي قال: إن زكي مبارك كان يعيش في بيته عيشة ريفية لا تفترق عن أهل الريف في شيء، وهو الذي جاب الأقطار وعبر البحار ما بين سنتريس وباريس!

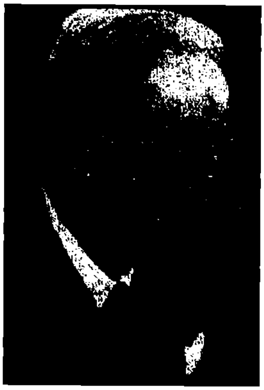
---

(١) المحقق.

وكان يعتد بريفيته الأصيلة ويعتز بأنـه «محمـد زكـي عبدالسلام مبارك من سنتريس منوفية».

لقد جالسته مراراً وتحدثت معه كثيـراً، واكتـشفت أن هذا الأديب الثائر المهاجم المـشاغب المنـاوش دائمـاً لـم يكن إلَّا طفلاً ريفياً كبيـراً، فتـوح القلـب للنـاس، يحـبهم ويتمـادى فـي حـبهم، ولا أذكـر أنـه تنـاول أمـامي أديبـاً بسوء، أو تحدّث في حقه بشر، أو ذكره بما لا يليق، لأنه كان في خلائق نفسه ريفياً، ومن أصحاب المثـل الخلقيـة التي كانت ولا تزال تسود ريفنا في مصر.

* * *



خليل مطران
المصدر: شعراء الوطنية
لعبدالرحمن الرافعي، ط ١،
عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٤

١١) خليل مطران(١)

رأيت الشاعر الكبير خليل مطران لأوّل مرة، في حفل تأبيني كبير أقيم بدار الأوبرا في القاهرة للصحافي الأديب المرحوم داوود بركات رئيس تحرير «الأهرام»، وسمعته ينشد مرثيته فيه التي أولها:

لقد آن أن يستمرئ النوم ساهدُ
وأن يستقر الألمعيُّ المجاهدُ

وكنت قبلها أسمع بخليل مطران وأقرأ قصائده في الصحف والمجلات، وأقرأ ما يكتبه الناس عنه، وبخاصة

(١) وُلِدَ عام (١٨٧٢ – ١٩٤٩)، (مصادر الدراسة الأدبية، ليوسف أسعد داغر)، ص ٥١٣ – ٥١٧.
من الكتب التي صدرت عنه: «حياة مطران» للأديب طاهر الطناحي.

بعد وفاة حافظ وشوقي؛ إذ كثرت الكُتُب التي تتحدَّث عنهما وعن زميلهما خليل مطران الذي كان يتمتّع وحده دون صاحبيه بشهرة التأثّر بالثقافة الفرنسية والأدب الأجنبي على العموم.

على أن خليل مطران قد استفاد من خصومة بعض الأدباء للعقّاد والمازني دون أن يبذل جهداً، فهم يقولون: إن مطران هو أسبق الناس دعوة إلى التجديد، وراحوا يؤكدون هذا المعنى في كثير من المقالات التي نشرت في مجلة «أبولو»، وفي كثير من الكُتُب التي طُبِعَت ونُشِرت بإشرافها أو توجيهها، ككتاب «رسائل النقد الأدبي» للدكتور رمزي مفتاح، وكتاب «روّاد الشعر الحديث» للدكتور مختار الوكيل.

والحق أن مطران قد أدخل بشعره في الشعر العربي عنصراً جديداً، لكننا لا نستطيع أن ندعي أنه صاحب دعوة في التجديد، لمجرّد أن له أشعاراً تستوفي أركان

المذهب الجديد الذي دعا إليه العقّاد والمازني، وما يسوغ لنا أن نقول إن ديوانه الأول المطبوع سنة ١٩٠٩ أو قصائده التي نشرت قبل ذلك في مختلف الصحف بالشام هي بذاتها دعوة إلى التجديد، لأن التجديد الذي دعا إليه هؤلاء لم يكن إنشاء لشكل جديد في الشعر من حيث المعاني، وإنما هو توضيح لمفهوم الشعر، وتأكيداً أنه لا بد أن ينبع من شعور صادق لا زيف فيه، وأن الشعر الجاهلي نفسه هو شعر صادق صحيح يدخل في ديوان الشعر الأصيل بصدقه وجودة تعبيره...

ونحن مع هذا نقرأ ديوانه الأول، هذا فلا نملك أنفسنا من العجب حين نجد شاعراً عصرياً يزف بأشعار ويهنئ بقصيدة أكثر من ثلاثين عروساً وعريساً، ويملأ ديوانه بتهاني الكبراء بالمواليد، بل يتجاوز ذلك إلى أن يجعل بعض الأبيات أو الشطرات في ديوانه تدل على التواريخ بحساب الجُمَل، كما كان يصنع بعض شعراء

عصر المماليك وعصور الانحطاط[1] الأدبي قبل ذلك وبعد ذلك.

ويناقش العقّاد في كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي» فكرة تأثير خليل مطران في الجيل الذي جاء بعده فيقول:

«خليل مطران من جيل أحمد شوقي حافظ إبرهيم، فهو أكبر من الجيل الناشئ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وهو علم وحده في جيله، ولكنه لم يؤثر بعبارته أو بروحه فيمن أتى بعده من المصريين، لأن هؤلاء كانوا يطلعون على الأدب العربي القديم من مصدره ويطلعون على الأدب الأوروبي من مصادره الكثيرة، فهم أولى أن يستفيدوا اللغة من الجاهلين

(١) ليس هناك عصر من العصور الإسلامية يمكن وصفه بهذا الوصف، ففي كل عصر هناك من أحسن وهناك من لم يوفّق، وعصر المماليك كان عصر الموسوعات الأدبية الشاملة المفيدة.

والمخضرمين والعباسيين. وهم أولى أن يستفيدوا نوازع التجديد من آداب الأوروبيين....».

بل إن العقّاد يؤكّد أن الجيل الذي سبقهم وهو جيل شوقي وحافظ ومطران هو الذي تأثّر بهم ولم يتأثّروا هم به..

ومع أن أحمد زكي أبو شادي قد أكَّد أكثر من مرّة أنه تلميذ خليل مطران، وأن صِلَته به التي يرجع تاريخها إلى زمن بعيد منذ كان مطران يزور أباه المحامي محمد أبو شادي قد أثمرت صلة فكرية وثقافية ظهر أثرها في شعره، مع هذا لا نرى نحن ما يراه أبو شادي، لأن شعر أبي شادي يخلو من طلاوة شعر مطران، ويخلو من طرائقه في التعبير والتفكير، ويبعد عن منهجه في الأداء بُعْداً كبيراً..

كذلك ننكر أن تكون رئاسة خليل مطران لجماعة أبولو خليفة لأحمد شوقي رحمه الله قد جعلت منها

مدرسة مطرانية الاتجاه، فإن صحائف مجلتها أبولو تشهد أن المجلة قد نشرت لكل مذهب شعري واحتضنت كل اتجاه فني، فقرأ فيها لكافة أطراف المذاهب الشعرية والمدارس الأدبية..

على أننا مع ذلك كله، نؤكّد أن مطران قد طَعَّمَ الشعر العربي بألوان جديدة بعد أن وجدت في قصائده عناصر درامية واضحة، وبعد أن ظهرت في قصيدته طلاقة فنية لم تكن معهودة في شعراء جيله..

لقيت مطران كثيراً – في الأماكن التي كان يغشاها وأخصّها مكتب صديقه أنطون الجميل بدار الأهرام وصالون السيدة هدى شعراوي زعيمة النهضة النسائية في مصر.. ثم كنت أمرّ به كثيراً وهو (يتمشَّى) في بعض أيام الشتاء أمام مصنع للروائح العطرية، كان يملكه شقيقه... لكنه كان رجلاً قليل الكلام كثير الاستماع، وإذا روى شعراً لنفسه أو لغيره فالبيت والبيتان فقط ثم

لا زيادة، وزرته في مكتبه بالنقابة الزراعية، وأظنّه كان في شارع ثروت أو عدلي – لا أتذكر بالضبط – وكنت أجد عنده بعض الأدباء، ولكنه كان مجلساً أدبياً خفيفاً إن صحَّ هذا التعبير. دخل علينا مرّة الأستاذ/ حسين شفيق المصري، وقد كفّ بصره في شيخوخته ومعه غلام ناشئ يأخذ بيده، وبعد أن جلس شفيق قليلاً دخل مطران غرفة أخرى واستدعاه إليه ولبثا معاً دقيقة أو دقيقتين ثم خرجا إلينا، وبعد حين خرج حسين شفيق بغلامه.

وبعد أن غادر المكان قال مطران: إنه يأسف لأنه لا يستطيع أن يعين الأدباء الفقراء إلَّا بالقليل الذي تتيحه له ظروفه، وما أحسب أن مطران أراد إلَّا أن يقول لنا: لقد أعطيته.

وكان معنا المرحوم محمد مصطفى حمام، فغادر المكان مستأذناً وقمت معه، وحين خرجنا أعلن عن أسفه لما قال مطران، بفضح هذا الأديب الكفيف الشيخ.

وقال: إن شوقي رحمه الله ما كان يفعل مثل هذا أبداً، وإن حافظ إبرهيم على فقره كان كريماً بلا من .... سخياً بلا أذى!

كان مجلس مطران يزخر بطلاب الحاجات، وطلاب قضاء المصالح، لا لأن مطران كان صاحب سطوة وسلطة وقدرة نافذة، ولكن لأنه كان صديقاً للباشوات والأعيان والوزراء والحكّام، يمتدح وجاهتهم ويثني على بيوتاتهم..... ويؤكد لهم بحضوره – وهو الشاعر الجهير – إنهم لا يقلون عن وزراء العهد العباسي وأمرائه أبّهة وعظمة... وهل هناك أدلّ على هذا المعنى من أنه كتب في ديوانه الأول عدّة إهداءات إلى أرباب الوجاهة والثراء والسلطان.... والحق أن مطران كان يستجيب لكل طالب ويتوسط لكل راغب من أهل الأدب والشعر..

وفي سنة ١٩٤٣ ظفرت بجائزة المجمّع اللغوي في الشعر، ثانياً للشاعر الكبير أحمد محرّم الذي نال الجائزة الأولى، فأقامت السيدة الجليلة هدى شعراوي رحمها الله

لأحمد محرم ولي حفل تكريم في قصرها الذي كان قائماً بميدان قصر النيل (التحرير حالياً)، وكان من خطبائه وشعرائه الدكتور/ محمد حسين هيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ، والأستاذ/ علي[1] الجندي والأستاذ/ محمد[2] الأسمر، وألقى خليل مطران قصيدة، لكنه لم يشأ أن يثني على الفائزين بكيل واحد من مكاييل الثناء، فبعد أن أثنى على أحمد محرّم وشعره توجّه إليَّ قائلاً بالشعر ما معناه: حسبك أن تكون الثاني في مسابقة

---

(١) علي الجندي (١٨٩٨ – ١٩٧٣)، مربّ مصري، أديب وشاعر، خطيب، عميد دار العلوم السابق، ومن أبرز شعراء العربية في العصر الحاضر، مؤرخ للشعر وراوية، (له العديد من المؤلفات).
(مصادر الدراسة الأدبية، ص ١٣٣٧ – ١٣٣٩ مع بعض التصرّف والاختصار).

(٢) محمد الأسمر (١٩٠٠ – ١٩٥٦) شاعر مصري معاصر، من نبهاء شعراء مصر في هذا العصر، رقيق الشمائل، حلو الألفاظ (له عدد من المؤلفات).
(مصادر الدراسة الأدبية، ص ١٠٥٥ – ١٠٥٦، مع بعض التصرّف والاختصار).

يكـون أحمـد محـرّم الأول فيهـا، فكانـت فـي رأي بعـض الحاضرين، ومنهم هدى شعراوي مقيمة الحفل سقطة من سقطاته الاجتماعية رغـم شـهرته بالمجاملـة واللطـف فـي معاملة الناس، بل رغم ثنائه..

وعلى كل أديب وكل شاعر مهما كان مستوى شعره.

ولكنني مـضيت إليـه فـي اليـوم التـالي أشـكر لـه أن شارك في تكريمي، ولم أجد غضاضة فيما قاله عني وعن محرّم ما دامت لجنة الحَكَم المجمّع اللغوي وفيها العقّاد وهيكل وغيرهم مـن كبـار الأدبـاء قـد رأت أن يكـون هـو الأول..

فتلقاني بكلمة اعتذار رقيقة، لكنني قلت له: إن الأمر ليس فيه ما يوجب الاعتذار، لأنه لـو انـصرف مـن معنـى التحية إلى النقد وإبداء الرأي لكان شيئاً يستوجب الشكر والعرفان، ولا يـستحق أن يعتـذر المـرء عنـه أبـداً، فأبـان رحمه الله أن أحمد محرّم قد ناله الغـبن كثيـراً فـي حياتـه

الطويلة، وأن المقام يقتضي أن تقال كلمة «تطمئن بها نفسه»...

ومن الجوانب التي لا يعرفها كثير من الناس في حياة خليل مطران أنه عين مديراً للفرقة القومية للتمثيل، فدفعها خطوات إلى الأمام ووجهها إلى الروايات العالمية ذات المغزى، متابعة لما صنع من قبل بترجمة كثير من القصص والروايات الفرنسية والإنجليزية وأخصّها آثار شكسبير..

وخليل مطران لبناني الأصل، من بعلبك، ذات الآثار القديمة، وفد على مصر وزار فرنسا ومكث بها عدّة سنوات، وعاد إلى مصر، واشتغل رئيساً لتحرير «الأهرام»[1] في صدر شبابه، وحين ضاق بعسف بعض الحُكّام الترك[2] قال:

(١) وقد أصدر جريدة (الجوائب) المصرية (والمجلة المصرية)، (شبكة الحاسوب موقع القصة السورية).
(٢) أعتقد أنه يعني جمعية الاتحاد والتَرَقي غالباً.

أنـا لا أخـاف ولا أُرَجّـي   فرسـي مؤهبـةٌ وسـرجي
فـإذا نبـا بـي ظهـر سـرج   فالمطيـة ظهـر لـج

وقال:

شردوا أخيارها براً وبحـراً   وقتلوا أحرارها حراً فحـرا
حطموا الأقلام هل تحطيمها   يمنع الأيدي أن تنقش صخرا
قَطَّعوا الأيدي فهل تقطيعها   يمنع الأعين أن تنظر شزرا
فقـؤوا الأعـين هـل بفقئها   يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا
أكتموا الأنفاس هذا جهدكم   بـه منجاتنا منكم فشكرا

* * *



أحمد زكي أبو شادي
المصدر: شعراء الوطنية
لعبدالرحمن الرافعي
ط ١، عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤

١٢) أحمد زكي أبو شادي[1]

الذي يكتب عن أحمد زكي أبي شادي يؤرّخ للعصر كله، ولأدبائه وشعرائه، وكذلك لاتجاهات العصر الفكرية والفنية والنقدية على العموم.

تستعرض تاريخه، فإذا هو التاريخ الأدبي للعقد الرابع من هذا القرن، لا لأن - شخصية أبي شادي

(١) للدكتور (جاحظ العصر) محمد عبدالمنعم خفاجي كتاب عنه بجزئين بعنوان (رائد الشعر الحديث).
وقد ترجم له الأستاذ وديع فلسطين في كتابه (وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره الواقع بجزئين، نشر دار القلم - سوريا، وكذلك ما كتبه لمقدمة شعره الذي نشرته دار العودة (لبنان) تحت عنوان الأعمال الكاملة (وقد أخبرني الأستاذ وديع أنه ليس صحيحاً أن تطلق هذا الوصف على هذه المجموعة الشعرية فهي ليست كل شعر أبو شادي).
وُلِدَ عام ١٨٩٢ - وتوفي عام ١٩٥٥ (مصادر الدراسة الأدبية).
أقول: ودفن في واشنطن كما أخبرني الأستاذ وديع فلسطين.

الشاعرة أو الأديبة قد استوعبت اتجاهات العصر كله، وإنما لأن – نشاطه الأدبي واتصالاته بالأدباء والشعراء، بالمودة وبالمخاصمة قد ملأت أيام هذا العقد من القرن العشرين، وأصبح كل أديب في مصر، إمّا أن يثني على أبي شادي فيغلو في الثناء، وإمّا أن يهاجمه فيغلو في الهجوم والعداء، فهو عند قوم أكبر شعراء عصره قاطبة، وهو عند آخرين نظام لا تهب على نظمه نسمة واحدة من نسمات الشاعرية الأصيلة، وهو قديس مغبون عند أقوام، وشيطان ملعون عند آخرين..

دخل الحياة الأدبية مبكراً قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وبعيد العشرين طبع أول ديوان من شعره سنة ١٩١٠، وهو ديوان «أنداء الفجر» الذي طبع طبعتين يفصل بينهما ربع قرن من الزمان. ثم ذهب أبو شادي إلى إنجلترا في سنة ١٩١٢ وهو شاعر ناشئ. وعاد بعد عشر سنوات في سنة ١٩٢٢ طبيباً متخصصاً في الكيمياء الحيوية والتحاليل ودجّاجاً (متخصصاً في الدجاج)،

ونحّالاً (متخصصاً في النحل)، وشاعراً ينظم الشعر بسهولة ويُسر دونهما سهولة كتابة الرسائل ويطبعه في دواوين ضخمة لا عهد لمكتبة الشعر بضخامتها..

وبين سنتي ١٩٢٢ يوم عاد من إنجلترا و١٩٣٢ يوم أصدر مجلة «أبولو» وأنشأ الجمعية الأدبية المسماة بهذا الاسم، لم يكن له وجود ملحوظ في الحياة الأدبية، اللَّهُمَّ إِلَّا بعض المشاركة في رابطة الأدب الجديد، مزاملاً فيها لكامل كيلاني ومحمد مصطفى الماحي وعبدالله عفيفي(١) وغيرهم..

وبتكوين جمعية «أبولو» وإصدار مجلّتها اشتهر اسم أبي شادي، مقترناً بهما، ولفتت غرابة الاسم أنظار الناس، كما لفتت قصيدة شوقي في تحية المجلة أنظارهم تلك القصيدة التي يقول شوقي في مستهلها:

(١) (١٨٨٩ - ١٩٤٤) وُلِدَ في قرية ميت عفيف في محافظة المنوفية، شاعر وأديب، أقول: كان يلقّب بشاعر الملك (فاروق)، له العديد من المؤلفات النثرية والشعرية (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين ١٩ و٢٠ مع الاختصار).

أبولـــو مرحبـــاً بـــك يـــا أبولـــو
فإنـــك مـــن عكـــاظ الـــشعر ظـــل
عكـــاظ وأنـــت للـــشعراء ســـوقٌ
علـــى جنباتهـــا رحلـــوا وحلُّـــوا
وينبـــوع مـــن الإنـــشاد صـــافٍ
صـــدى المتـــأدبين بـــه يبـــلُّ!

وكان لهذه القصيدة يوم نشرت في «الأهرام» دوي كبير في محافل الأدب وأنديته، وأذكر أن حماماً رحمه الله أسمعني مناقضة لها يقول مطلعها:

أبولـــو ضـــلَّة لـــك يـــا أبولـــو
فإنـــك مـــن ســـخيف الـــشعر ظـــلُّ

وهي مناقضة لم يسترح لها كثير من الناس، فإنه كان عجيباً أن تهاجم مجلة قبل أن تصدر وتعرف مادتها إن ظلاً من عكاظ أو ظلاً من سخيف الشعر.

وكان أحمد شوقي رحمه الله الرئيس الأول لهذه الجماعة التي اختير أعضاء مجلس إدارتها في جلسة بين

أحمد شوقي وزكي أبي شادي الذي أسندت إليه أمانتها العامة، وبعد شهر واحد أو أقل من شهر من تكوين هذه الجمعية اختار الله شوقي إلى جواره في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ . وبعد أسبوع واحد من هذه الوفاة اختير خليل مطران للرئاسة بعد شوقي وأدخل في مجلس الإدارة أعضاء جدد بعضهم من شباب الشعراء كمختار الوكيل وعبدالعزيز[1] عتيق..

وقبيل ذلك كان العدد الأول من «أبولو» قد صدر واستكتبوا العقّاد، فكتب كلمة يعيب فيها اختيار اسم «أبولو» للمجلة، وهو اسم لا تعرفه العرب، وإنما عرفوا عُطارد من الأبراج التي تتصل بالشعر والفن. ولم يرتح أبو شادي ولا أعضاء الجمعية لهذا الاستهلال غير المحبوب من العقّاد، وتعاظم في نفوسهم أثر ما كتب، فأشعلوها خصومة بينهم وبينه ملأت صفحات «أبولو»

(١) (١٩٠٦ - ١٩٧٦) شاعر وأستاذ لعلم البلاغة، من مؤلفاته (ديوان عتيق)، (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين ١٩ و٢٠ مع الاختصار).

منذ سنتها الأولى حتى توقفت عن الصدور في سنة ١٩٣٥..

ويقول الدكتور/محمد مندور في كتابه «الشعر المصري بعد شوقي» إن أبا شادي قد علَّل اختياره هذا الاسم للمجلة بالرغبة في أن تحمل اسماً عالمياً يلائم صبغتها، وأنه مما يستلفت النظر أنه أَلَّف في أمريكا بعد هجرته إليها جمعية مماثلة سمّاها «جمعية منيرفا»، ومنيرفا هذه هي آلهة[1] الحِكْمَة عند اليونان القدماء.

عرفت أبا شادي في أوائل سنة ١٩٣٣ حين زرته في مقر مجلة «أبولو» بِحَارة عمر شاه بالسيدة زينب بالقاهرة قريباً من الميدان الكبير. وقد لقيت هناك مختار الوكيل وحسن كامل الصيرفي وغيرهما. وجدتهم جالسين يقرؤون قصيدة من الشعر لصالح جودت ويغيرون بعض كلماتها وقوافيها حتى تصير صالحة للنشر في «أبولو» وكانت قافيتها فيما أذكر راء ساكنة...

(١) لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وقدمت إلى أبي شادي قصيدة ناشئة من شعري، فأجرى فيها بعض التغييرات، ثم طلب مني صورة فوتوغرافية ونشر القصيدة والصورة في أحد أعداد السنة الأولى من المجلة سنة ١٩٣٣..

وفي أواخر هذا العام كانت حملة أبي شادي وجماعته على العقّاد قد اشتدت وامتدت وجاوز «أبولو» إلى مجلات «النحل» و«الدّجاج» و«الإمام» التي كان يصدرها أبو شادي فلم أجد بداً من تقليل زيارتي لدار «أبولو» ثم الانقطاع نهائياً بعد ذلك بعدة شهور، ثم ما لبثت مجلة «أبولو» أن هاجمت شخصي لسبب لطيف سأقصه: ذلك هو أن صديقي الشاعر: أحمد مخيمر قد أعجب بقصيدة من شعري فاستسخت نسخة منها له، ثم ما لبث أن أعطاها لأبي شادي فنشرها في المجلة، وكنت إذ ذاك على صِلَة وثيقة بالعقّاد، وكان يعرف أني مجانب لـ «أبولو» مجلتها ومحرريها، فخشيت أن يتهمني بالنِّفاق، فبادرت إلى الدكتور/طه حسين في جريدة

«الوادي»، وكان إذ ذاك رئيساً لتحريرها، فسلمته كلمة قصيرة أعلن فيها على الناس أنني لم أرسل إلى «أبولو» شيئاً من شعري، وأنها نشرت ما نشرت منه بغير إذني.... ونشرت الكلمة في «الوادي» كما كتبتها، وجاء العدد الجديد من المجلة فسلكني هدفاً جديداً من أهداف هجومه مع الأهداف القديمة..

وحمدت الله كثيراً أن أصبحت قبل أن أبلغ العشرين من عمري موضوعاً من الموضوعات العامة التي تتناولها الصحف والمجلات.

والذي يكتب عن أبي شادي وعن تلك الفترة من حياتنا الأدبية والثقافية لا بد أن يشير إلى شيئين إشارة يوجبها الصدق التاريخي بحسب ما أعتقد ولا يستلزمها أن هذه هي مادة التاريخ لهذه الحياة الأدبية، ومن الواجب تسجيلها قبل أن تضيع.

الشيء الأول أن الكُتُب التي صدرت لمهاجمة العقّاد في هذه الفترة إنما صدرت بتمويل من «أبولو»، ككتاب

«رسائل في النقد الأدبي» للدكتور/رمزي مفتاح الذي هاجم فيها العقّاد هجوماً عنيفاً، واستعمل أقسى العبارات وأعنفها، وقد شهدت أبا شادي بنفسي يقرؤه ويزيد فيه وينقص منه، وكتاب «روّاد الشعر الحديث» للدكتور/مختار الوكيل الذي وضع أبو شادي فيه بين الروّاد وهوجم العقّاد فيه أشد الهجوم، وقد عرفت أن هذا الكتاب قد طُبع ومختار في المستشفى، وأن أبا شادي رحمه الله غيَّر فيه عشرات الصفحات، وزاد من المدح في نفسه ومن الهجوم على العقّاد، ولعلَّ ذلك كان سبب قطيعة طويلة حدثت بعد ذلك بين الشاعر مختار الوكيل ومجلة «أبولو» والدكتور أبي شادي.

ولم تشأ جبهة العقّاد أن تسكت على هذا الهجوم المركّز، فكان كتاب «أدباء معاصرون» الذي ألَّفه حبيب الزحلاوي بمثابة الرد عليه، وإن لم يبلغ من القسوة والعنف ما بلغته كتبهم، ولا أعلم أنه بإيحاء من أحد أو بتوجيه من جماعة.

الشيء الثاني أن بعض الأسماء التي كُتِبَت في «أبولو» لم يكن لها وجود أدبي على الإطلاق، فكم من قصيدة نظمت ثم وضع تحتها اسم من الأسماء لم يكتب حرفاً واحداً منها، وكم من مقال نقدي كُتِب ووضع تحت اسم لا يعرف عن هذا المقال شيئاً، ومن أمثلة هذه الأسماء شاعرات كثيرة اشتهر بعضهن بالشعر.

وكتاب أحدهم كان يعمل «فرَّاشاً» أو خادماً بمجلة «أبولو».

ولما كانت أمانة التاريخ تقتضي أن يكشف النقاب عن هذا، فإني أفعل نزولاً على إرادة التاريخ خصوصاً، وأن بعض النُّقّاد قد كتبوا كُتُباً ودراسات عن بحوث هذه الأسماء ودراساتهم وهم لا يعلمون أنها أسماء مستعارة!

ولا جدال في أن أبا شادي قد حرَّك ريح الحياة الأدبية الراكدة بمجلته وكتبه ودواوينه، ثم بالكتب التي شجع على تأليفها ونشرها. ولذلك ما أن غادر أبو شادي

القاهرة إلى الإسكندرية أستاذاً بكلية طب الإسكندرية، ثم غادر الإسكندرية مهاجراً إلى أمريكا حتى عادت ريح الأدب إلى الركود، خصوصاً بعد أن غشيت الحياة ظلمات الحرب العالمية الثانية.

زرت أبا شادي في بيته بالمطرية بالقاهرة مرة واحدة، فوجدته منزلاً أنيقاً بسيطاً، تمتزج فيه البساطة بالأناقة، وحيَّتنا زوجته وهي سيدة أجنبية رقيقة، وقدّمت لنا الشاي، ولاحظت أن أبا شادي لا يعيش في قصر، كما كان يوحي بذلك منصب وظيفته، وعرفت بعد ذلك أن أغلب موارده تذهب إلى طبع كتبه ودواوينه أو تمضي لترفد «أبولو» إلى جانب الروافد الأخرى رسمية وغير رسمية!

وتعجب لأمر أبي شادي الشاعر الذي يهاجم شعر المناسبات، وتقرأ ديوانه «إلى السماء» مثلاً الذي طُبِعَ في أمريكا سنة ١٩٤٨ فتجد تسعين في المائة منه شعر مناسبات ومطارحات وإخوانيات!

وكتب أبو شادي مقدمة عجيبة لكِتاب ألَّفه أحد مريديه وهو الأستاذ/ مصطفى عبداللطيف السحرتي، هو كتاب «أدب الطبيعة» وتقرؤها فتجد أبا شادي يدعو دعوة غريبة لا أحددها ولا أسميها، وإنما أنقل إليك بعض ما قال لتضع أنت عنواناً له، قال غفر الله له:

«ونحن المصريين في عصرنا وأصلنا شعب غير شوقي وغير سامي، فليس لنا أن نسخر من أنفسنا بتقليد لا يشرفنا لو أن للتقليد شرفاً، فكما أن لمصر أن تباهي بأن شمس التوحيد الأول أشرقت في ربوعها في ديانة أتون التي تأثّرت بها المسيحية ذاتها، فكذلك لها أن تفخر بأدبها المصري الصميم، ولا نقول بتقليده، فوحيه ماثل لأعيننا في الطبيعة المصرية من ناطقة وصامتة، وإنما نقول بالتحرر من قيود الماضي التي نرسف فيها مستردين قوميتنا الخالطة كما فعل الترك في يقظتهم

الأخيرة الرائعة ومعبرين عن هذه القومية في أدبنا وأعمالنا....... وإذا كانت اللغة العربية بدل اللغة القبطية هي الآن لسانا الشائع، فليس معنى ذلك أن ننسى طابعنا المصري الصميم وننساق إلى آداب الأمم الأخرى التي تنطق بالعربية، وهذه الولايات المتحدة لغتها الإنجليزية، ولكنها كيّفَتها تكييفاً قومياً، كما كَيَّفَت أدبها تبعاً لمزاجها الخاص، فصار الأدب الأمريكي شيئاً آخر غير الأدب الإنجليزي...

ولا نزال في جهلنا لتاريخنا الأدبي القومي حتى في هذا العهد الجديد من الاستقلال والحرية راسخين في أغلال الفتح العربي مهما تحررنا من الاحتلال الإنجليزي، ونقرأ من المقالات الحماسية الدينية والأدبية لنفر من أعلام رجالنا ما يكاد يشعرنا بأنهم شعراء لدولة إسلامية عربية في عالم الخيال، لا أنهم أبناء مصر المبرزون وحماة وطن الفراعنة، وأن عليهم

واجبات مقدسة، إزاء تحرير وطنهم فكرياً وروحياً أسوة بتحريره السياسي والاقتصادي»[(١)].

انتهى بحروفه ما قاله الدكتور/أحمد زكي أبو شادي في تقديمه لكتاب «أدب الطبيعة» من تأليف الأستاذ مصطفى السحرتي، والحق أنها دعوة كانت كأنها النغمة الناشزة في سمفونية رائعة تنادي بالعروبة، ولقد كانت مشايعة لدعوة (شعوبية)[(٢)] وإلحادية تزعمها بعض الحاقدين على العرب والعروبة في هذه الفترة، ولكنها ماتت في مهدها. وعاشت بلادنا عربية خالصة العروبة...

* * *

(١) وللإلمام بهذا الموضوع ننصح بقراءة كتاب الأديب محمود شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. وكتاب «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر» للدكتورة نفوسة زكريا.

(٢) المحقق.



د. محمد حسين هيكل
المصدر: مجلة الهلال
يناير عام ١٩٥٧

١٣) د. محمد حسين هيكل[1]

في أواخر العقد الثالث وأوائل العقد الرابع من القرن العشرين كانت «السياسة الأسبوعية» و«البلاغ الأسبوعي» تكتسحان الحياة الأدبية

---

(١) وُلِدَ عام ١٨٨٨ – وتوفي عام ١٩٥٦ (مصدر الدراسة الأدبية).
ممن كتب عنه:
- فتحي رضوان في كتابه/عصرٌ ورجال.
- يوسف أسعد داغر في مصادر الدراسة الأدبية.
- الأعلام للزركلي.

وكتب مستقلة:
١ - الدكتور هيكل وتاريخ جيل د. حسين فوزي النجّار. سلسلة أعلام العرب (١٣٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨.
٢ - الدكتور محمد حسين هيكل بين الحضارتين الإسلامية والغربية، أحمد زلط، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨.
٣ - محمد حسين هيكل في ذكراه، د. عبدالعزيز شرف، سلسلة اقرأ، (٤٣١) دار المعارف، مصر.
٤ - محمد حسين هيكل في عيون معاصريه، إعداد نبيل فرج، دار الكتب والمجلس الأعلى للثقافة، مصر، ١٩٩٦.

اكتساحاً، وكانتا تصدران وكأنهما ملحقان لجريدة «السياسة»، لسان حال حزب الأحرار الدستوريين، ولجريدة «البلاغ» لسان حال الوفد - قبل أن يخرج عليه طائفة من أعضائه ومعهم صاحب البلاغ، وظلتا مزدهرتين حتى أكلت الرسالة قراءهما فتوقفتا عن الصدور، «البلاغ» أولاً وبسرعة، ثم «السياسة» ثانياً وببطء...

وعلى الرغم من التبعية الحزبية لكل من الصحيفتين فإن قراءهما لم يكونوا يهتمون كثيراً بهذه التبعية أو يقيمون وزناً لها، ففي ميدان الأدب لم تكن للاتجاهات السياسية قيمة، فقد كان الوفديون يقرؤون لطه حسين ومحمد حسين هيكل والمازني، وهم من كُتّاب السياسة، وكان الأحرار الدستوريون يقرؤون للعقّاد وهو من كُتّاب الوفد البارزين، بل إن كان أكبر كُتّابه على الإطلاق..

نكتب هذا لنقول إن الوضع الحزبي لم يكن له يد في رفع قدر أديب، وإلّا فلماذا اشتهر طه حسين في العشرينيات وهو يكتب في صحف الأقلية الحزبية

المسحوقة، في مواجهة كثير ممن يكتبون في صحف الأغلبية الساحقة....

وكانت «السياسة الأسبوعية» مجلة للثقافة والفكر بمعناهما الواسع، ففيها بحوث ودراسات أدبية، وقصائد من الشعر وقصص، ثم أسبوعية للشطرنج، ومسابقات وما إلى ذلك..... وأعتقد أن نسبة توزيعها كانت عالية جداً إذا قيست بـ «السياسة اليومية» التي هي الأصل لها..

أردت يوماً أن أنشر قصيدة في «السياسة الأسبوعية» التماساً للشهرة، فذهبت إلى دارها، وقابلت الدكتور/ محمد حسين هيكل لأوّل مرّة، وبقيت في حضرته حوالي نصف ساعة، والرجل يتحدّث عن شريط سينمائي (فيلم) كان يُعْرَض في سينما تريومف (التي أصبحت فيما بعد سينما ستوديو مصر، وتحوّلت بعد ذلك إلى سينما ريتس بشارع عماد الدين بالقاهرة) وينقد قصة الفيلم، نقداً لا أذكر شيئاً منه الآن، ثم ينقد الممثلين

والممثلات ويقترح مواقف لإصلاح ما كان يراه معيباً في القصة وفي الممثلين والممثلات جميعاً، ولكنه مع هذا كان يدعو الحاضرين إلى مشاهدة هذا الشريط، لأنه فيه - كما قال - شيئاً من التحليل النفسي الجديد بالاطلاع والمشاهدة..

الحق أن الرجل أعجبني، ودخلت شخصيته الأدبية والثقافية عاطفتي، فاتجهت إلى قراءة مقالاته، بعد أن كنت لا أكاد أقرأ منها شيئاً..

وقرأت بعد ذلك مباشرة «زينب» وهي فن من الكلام لم يكن لنا بمثله عهد، فهي ذات حبكة قصصية قوية وشخصيات، يقوم كل منها قيامة فنية صحيحة، وحوادث تترابط ولا تتنافر، ولا جدال في أن الدكتور/محمد حسين هيكل قد وضع بقصته «زينب» أساساً وطيداً للقصة العربية الحديثة، ولعلَّ ذلك كان من تأثره بقصاصي الغرب حيث عاش فترة طويلة في فرنسا يطلب العلم هناك، ويلم إلى جانب العلم والقانون والاقتصاد

بالاتجاهات الأدبية والثقافية التي كانت سائدة في فرنسا وفي أوروبا، وكلها في العقد الثاني من القرن العشرين..

وقد عاد هيكل من فرنسا، يحمل الدكتوراه في القانون برسالة كتبها بالفرنسية عن «الدَّين المصري العام» ويحمل مع الدكتوراه اتجاهات أدبية أفادها من تلك البيئة الثقافية، واشتغل محامياً لفترة من الزمن، ثم دخل ميدان السياسة الحزبية حتى تولى الوزارة عدّة مرّات ورأس مجلس الشيوخ، كما رأس أحد الأحزاب خلفاً لعبدالعزيز فهمي.

وأنت لا تستطيع أن تنكر أثر خاله الأستاذ/أحمد لطفي السيد فيه، فقد كانت مجالس لطفي السيد هي مدرسته الأولى وهو يافع يطلب الأدب، ثم كانت صحيفة الجريدة التي كان يصدرها لطفي السيد في أوائل هذا القرن هي صحائف من ثقافته وتعليمه وتوجيهه.

وصدر له بعد فترة من الزمن «حياة محمد»، وهو كتاب في تاريخ حياة الرسول الكريم ﷺ، طبع أكثر من

عشرين طبعة، وكتب مقدمته الشيخ الأكبر محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر، فكان صدور هذا الكتاب حدثاً ضخماً في الميدان الأدبي والثقافي، وأثار من إعجاب الناس ورضائهم ما لم يثره كتاب من قبل، ولعلَّ أعظم أثر لهذا الكتاب هو توجيه الناس إلى تاريخنا الإسلامي، وقد أوشكت موجة من الشعوبية - حينذاك - ومن العجمة ومن الإلحاد، أن ترفع ستاراً بينه وبين الناس، ومن بعده قام العقّاد وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم فاتجهوا إلى التاريخ الإسلامي، فكان مصدراً من أعظم مصادر ما كتبوا..

سمعت الشيخ علي سرور الزنكلوني أحد أعضاء هيئة كبار العلماء بالأزهر يقول للدكتور/هيكل: «بهذا الكتاب يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك... أيّدك الله».

والذي يقرأ هذا الكتاب لا بُدّ أن يحسّ أن كاتبه محام يعرض الجوانب المختلفة لقضيته عَرْضاً بديعاً، ويرتّب دفاعه ترتيباً منطقياً قوياً، ويستظهر أقوال

الخصوم فيجري عليها الحجة بعد الحجة حتى لا يقوم منها في ذهن القارئ شيء، ويخرج القارئ من الكتاب - مسلماً أو غير مسلم - فتملأ حياة محمد ﷺ وشخصيته نفسه وعقله جميعاً.

كان هيكل أديباً خصباً وفير الإنتاج قبل أن يلفه الصراع الحزبي، فقد أصدر «في منزل الوحي»، و«الفاروق عمر»، و«الصديق أبو بكر»، و«عشرة أيام في السودان»، و«ولدي»، ثم لما تولى الوزارة لم يجد من وقته مساعفاً لملكته الأدبية... فتوقف عن التأليف أو كاد.

كتب مقدمة «الشوقيات» لأحمد شوقي، ثم وقعت بينه وبين شوقي بعدها نبوة حول الحفل الكبير الذي تمّت فيه مبايعة شوقي بإمارة الشعر، وكان الدكتور/ محمد حسين هيكل من أول الدعاة إليه....

ولا يعرف أبناء الجيل الحاضر أن الزعيم سعد

زغلول هو الذي كان رئيساً للجنة التي قامت بالحفل ودعت إلى تأمير شوقي على الشعراء، ورغم ذلك فقد هاجم العقّاد شوقي واللجنة التي أقامت الحفل، دون أن يهتم بأن سعد زغلول – زعيمه وصديقه – هو رئيس هذه اللجنة..

ثم عرفت الدكتور/هيكل عن قُرْب، حين عملت سكرتيراً برلمانياً لأحد أصدقائه من الوزراء، فعرفت فيه النبالة والخُلُق الكريم والميل إلى مساعدة الناس والتسامح، لكنه في هذه الفترة من تاريخ حياته كان كالذكرى لأديب كبير، ولم يكن أديباً كبيراً بالفعل... وسمعته يخطب خطابات سياسية تطول الخطبة منها فتبلغ أربع ساعات، لا يكاد يلحن فيها لحنة واحدة، ولكنها كانت خطابة فيها من السياسة وصراعها والحزبية ومناوراتها أكثر مما فيها من فن الأدب، ولذلك فقد كنت أخرج من خطابته غير منفعل بها ولا متأثر بتوجيهها، ولعلَّ ذلك كان سببه أنني أهيئ نفسي لسماعه أديباً فيفاجئني منه السياسي لا الأديب!

كان العقّاد رحمه الله يحبه ويقدره رغم ما وقع بينهما من المعارك الأدبية، وحين مات رثاه العقّاد رثاء بليغاً حاراً قال فيه:

تباعدت شقة الدارين وامتنعت
على المطايا وأَعيَتْ حيلة السّفنِ
واطول شوقي إلى يوم يقرَبني
من راحة البال أو من راحة البدنِ[1]

* * *

منازل الوحي ما زالت مثابته
في الطيبتين، وفيما طاب من ظَعَنِ
يا هيكل الحق كم أحييت من أثر
وكم نشرت وكم أبقيت من سننِ
ذكراك يا باعث الذكرى مخلدة
تبقى مع الذكريات الغرّ في قرنِ

(١) الشكر الجزيل لأخي المحقق الأستاذ أحمد الربعي، الذي تفضَّل بإمدادي بالقصيدة لتصحيح الأخطاء الطباعية في أصل الكتاب.

حــق علــى ذمــم التــاريخ تحفظــه
لحـــافظ ذمـــم التـــاريخ مـــؤتمن
أحييـت سـيرة مـن يحيـون منـصفهم
مــن كــل عــال بتــشييد العــلا قَمِـنِ
يا هيكل الفن كـم أبـدعت مـن صـور
وكــم رفعــت وكــم نكَّــست مــن وثــن

ومنهـا وفيـه إشـارة إلـى مـا كـان بينهمـا مـن معـارك الفكر:

حاربـت فـي الـرأي أقوامـاً علـى ثقـة
وحـــاربوك ومـــا بـــتم علـــى دَخَـــنِ
مـا كنـت مختبـراً للـسخط تـضمِرهُ
إلا كخبـــرة فنـــان بـــه طـــبن

وفي السنوات الأخيرة من حياتـه زامـل العقّـاد وغيـره فـي صـحيفة الأخبـار، فكـان يكتـب صـفحة اليوميـات - كالعقاد – مرة في كـل أسـبوع. ولكنهـا كانـت أقـل مـن

مستواه الذي قرأناه وقرأه الناس قبل ذلك بنحو ثلاثين سنة.

كان والد الدكتور/محمد حسين هيكل من أسرة تملك الأراضي والعقارات، وكانت أُمّه من أُسرة تملك الأراضي والعقارات، وتولى الوزارة عدّة مرّات، وشغل منصباً يعتبر في خطورته وجلال قدره فوق منصب الوزارة وهو منصب رئيس مجلس الشيوخ، ولكنه خرج من هذه المناصب كلها صفر اليدين، كأنما كان ينفق مما ورثه عن أُمّه وعن أبيه، ومما كسب من كتبه ومؤلفاته وأعماله الأدبية على مناصبه ووظائفه في وقت كانت الوظيفة فيه تدر على شاغلها الغنى والثراء!

فوق وجاهة المنصب وأُبّهة السلطان وجلال الحُكم.

ويوم كان يكتب المقالات السياسية اليومية كان أسلوبه بسيطاً سهلاً ليس فيه لا تكلّف ولا اصطناع، ولا تلمح فيه محسنات ولا مزيّنات، اللَّهُمَّ إِلَّا ما جاء منها

عفو الخاطر بلا استكراه وامتياز، أسلوبه هو فيما قلناه آنفاً من أنه أسلوب يستعلى فيه سلطان المنطق، ويمتلئ بالمقدمات التي تعقبها النتائج وبمناقشة آراء الخصوم مناقشة عقلية جادة، ثم ينتهي الأمر بأن يجعل الحكم للقارئ فيما بين يديه من مادة الكلام، كأنما هو محام ينتهي من دفاعه ومناقشة خصومه ثم يرفع الرأي إلى المحكمة لتصدر في الأمر حكمها..

أما ثقافته فعربية أولاً تأخذ من تراث العرب بأوفى نصيب، ثم غربية فرنسية ثانياً، حصلها بعد أن شدَّ الرحال إلى فرنسا يطلب العلم، قرأت عليه مرة ترجمة لقصيدة من روائع الشعر الفرنسي نقلتها شعراً إلى العربية هي قصيدة «الضمير» لفيكتور هيجو، فبدا لي أنه يحفظ القصيدة في أصلها الفرنسي عن ظهر قلب، وقد طلب مني أن أتمهل في التلاوة، لأنه كان يريد أن يقارن بين الترجمة الشعرية العربية وأصلها الفرنسي، ويضع مقطعاً

من الأصل إلى جانب مقطع من النقل...... ثم يأخذ في الموازنة......

رحم الله صاحب في «منزل الوحي»، و«حياة محمد ﷺ»، و«الصديق أبو بكر»، و«الفاروق عمر»[1]، ومترجم العباقرة، وواضع اللبنة الأولى في بناء القصة العربية..

* * *

(١) رضي الله تعالىٰ عنهما.

١٤) الشاعر الحلاق حسن محمد البطريق[1]

في شهر ديسمبر سنة ١٩٤١ استأجرت إحدى الشقق الخالية بالمنزل رقم ٥١ بشارع ترعة طوسون بحي روض الفرج، وقد سُمِّي فيما بعد باسم شارع ابن فضل

(١) للأسف لم نعثر له على صورة.
هناك العديد من الشعراء في العصر القديم والحديث كانوا يجمعون بين موهبة الشعر والعمل بحرفةٍ ما. ومن هؤلاء في العصر الحديث (عوض الحسيني محمد قشطة)، وكان بقالاً في إحدى قرىٰ مصر، توفي عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ وقد ترك ديواناً ضخماً بعنوان (مع الأيام).
المصدر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، المجلد الرابع عشر ص ٢٢١ – ط. الكويت.
أقول: وللشاعر الأديب عبدالعليم القباني – رحمه الله تعالىٰ – (من الإسكندرية) كتاب عن هذا الموضوع بعنوان [مع الشعراء أصحاب الحِرَفْ] طبع قديماً في مصر، وقد كان هو نفسه من أصحاب الحِرَفْ إذ كان خيَّاطاً.

الله العمري، صاحب «مسالك الأبصار»، ولا يزال بهذا الاسم حتى اليوم، أما رقم البيت فقد أصبح ٧٣..

وخرجت من منزلي ذات صباح فلقني في بعض الطريق الأستاذ الأديب/ محمد عبدالحميد أبو العزم «المدير العام الآن بوزارة التربية والتعليم»، وقال إنني أحمل إليك عتاباً من حلاقنا الشاعر حسن البطريق، لأنك سكنت هنا منذ مدة، ولا بُدَّ أَنَّك حلقت شعرك، ولا بُدَّ أن ذلك كان في «صالون» غير صالونه، وهذا في رأيه أمر غير لائق، لأنكما إخوان في هواية واحدة هي الشعر، وقد أعدّ أبياتاً في عتابك أسمعنيها الساعة، فمضيت إلى صالونه «صالون الحرية»، فوجدت رجلاً في منتصف العمر، ضئيلاً نحيلاً، هو إلى القماءة[1] أقرب، يلبس لباس الحلاقين، ويجلس أمام الصالون يتأمّل العابرات والعابرين... فألقيت عليه السلام! ودخلت إلى الصالون ثم جلست أمام المرآة، وأحضر هو قطعة من

---

(١) وردت (المقامة)! والقماءة: القِصَرْ.

القماش بيضاء ووضعها على صدري وربط طرفيها حول رقبتي، فقلت له: قبل أن تمد يدك بمقص أو بموس، أريد أن أسمع منك أولاً ما قلته في عتاب العوضي الوكيل الذي جافاك، وترك صالونك إلى سواك، قال: من أنت؟ وتهللت أساريره، قلت: صديق له، أحببت أن أعوضك عنه فأتيت أحلق عندك على أن أسمع، فانطلق ينشد:

ألا اسـمع العوضـي الوكيـل
أناشـدك الله أن تـسمعه
شـكاية ذي حنـق شـاعر
تثـور بمهجتـه معمعـه
حلقـت لـدى غيرنـا يـا فتـى
أمـا كنـت أجـدر بالمنفعـه
لـئن كنـت تبغـي المحـل الـرخيص
فـأجر حلاقتنـا أربعـه

ثـم أردف فقـال: قاتـل الله القافيـة، فقـد أرخـصتني

قرشين عمّا كتبت على واجهة محلي، لأن الأجر عندي هو ستة قروش لا أربعة، قلت له: ولكنك الآن تغريه بالحضور إلى دكانك لمزية فيه هي الرخص، لقد كان يجب عليك أن تذكر سبباً آخر لدعوته، فقال: كنت أريد أن أقول: لا يحق للشاعر أن يجافي زميله الشاعر، وإلَّا استحق الهجاء. فقلت له: هذا المعنى ينظم هكذا:

إذا ما جفا شاعر شاعراً
فقد حق بالشعر أن تلذعه

فتفرّس في وجهي ملياً ثم قال: إنك العوضي الوكيل، ولست أحداً غيره، وكان هذا بدء التعارف بيننا..

كنت تدخل صالونه المعفر بالتراب فتجد على كراسيه الخاشعة المتهالكة يجلس نفر من كبار الرجال بين أدباء وشعراء وصحافيين وأساتذة في الجامعات، وممثلين وفنانين مختلفين، جاء بعضهم ليحلق، وجاء البعض الآخر يستمتع بطرائف الشاعر الحلاق الظريف..

وكان حسن البطريق إلى جانب شاعريته مثالاً، يصنع التماثيل التي كانت تمتاز بالبساطة وقوة التعبير..

وفد حسن البطريق من بلبيس حيث وُلِدَ ونشأ إلى القاهرة، ليعمل في مهنته التي تعلمها منذ الصغر، وهي حلاقة شعر الرِّجال، وفي بلبيس لم يدخل كتَّاباً ولا مدرسة، وإنما عَلَّمَ نفسه بنفسه، وظلَّ يتدرج حتى استطاع أن يحفظ المعلقات ومشهورات القصائد والمقطعات في أوقات فراغه من عمله، ولما ضاقت بلبيس بأدبه وفنه - كما قص عليَّ بنفسه - اتجه إلى القاهرة لعله يجد لفنه وشعره فها حظاً. ولكنه لم يجد إلَّا الفقر والعوز..

كان صالونه أقل صالونات شبرا في الإيراد، وإن كان أكثرها واردين لأن البطريق - رحمه الله - كان إذا خطرت له فكرة في الشعر ترك زبونه.

- وقد يكون الصابون على وجهه - ومضى إلى

مكتب صغير بدون ما خطر له وقد يطول انتظار الزبون حتى يفرغ الحلاق من تدوين خواطره الشعرية، ولهذا فرَّ الناس من الحلاقة عنده، وإن لم يفروا من مجلسه الطريف الظريف..

طالبته الضرائب - رغم فقره - بعده مئات من الجنيهات، ضريبة عن مكاسبه في عدّة سنوات، فأعد قصيدة مضى بها إلى لجنة الطعون في مصلحة الضرائب، وشكا فيها فقره وشرح حاله وطلب إعفاءه، فأقرته اللجنة على ما طلب وخرج يقول: لقد وجدت للشعر فائدة بعد أن أضاع زبائني وخرب دكاني وادخر - أو ادخرت زوجته قليلاً من المال، وسافرا إلى بيت الله الحرام للحج، لعلَّ الله يفتح عليه أبواب الرزق، وحين عاد أقام لنفسه سرادقاً أمام الصالون ودعا الشعراء ليكرموه لمناسبة عودته من الأقطار الحجازية، وطبع بطاقة للحفل تضمنت أسماء الشعراء، وقلت له في هذا الحفل:

أيا حسن البطريق عدت من الحج

وكم جزت من بيد وكم خضت من لج

وكَفَّرْتَ عمّا قد فعلت من الهوى
ومن لفتتات الغيد بالأعين الدعج
فهل عدت بالألطاف أم عدت خاوياً
وجئت بغير الخرج أم جئت بالخرج

ومن طرائفه أنه في موسم من المواسم بعثت إليه عدداً من الأطفال من أقاربي كانوا في زيارتنا من القرية ليحلق لهم رؤوسهم، فاشترط على أن يكون الرأس بستة قروش، لكنني قلت له: إنهم أطفال، والأطفال يحلقون بأربعة، وجيرانك من الحلاقين يقبلون مثل هذا الأجر، فضلاً عن أنك حددته من قبل في إحدى قصائدك إليَّ، فانزوى في جانب الصالون قليلاً ثم عاد إليَّ بهذه الأبيات:

يفاوضني العوضي في حلق رأسه
وبعض رؤوس قد تجاوزت العشرا
ويذكر في لفظ من البخل واضح
بياناً بأسعار الحلاقة في شبرا

ألا ليــت شــعري مــا يقــول فقيــرهم
إذا كان هـذا مـا يقـول الـذي أثـرى؟!

فأخذت الورقة من يده وكتبت تحتها هذين البيتين:

ألا قــل لحــلاق «تفــرعن» فــي شــبرا
وطالـــب فـــي رأس يـــشوهه أجـــرا
أأربعـــة «صـــاغ» عليـــك قليلـــةٌ
وقد كنت في بلبيس تحلـق بـالأذرا

والأذرا هـي الـذرة ومعظـم حلاقـي الريـف فـي مـصر يقبلونه أجراً..

وكان خفيف الظل جداً إذا تأخر أحد زبائنه عن موعد الحلاقة راح ينظر إلى رأسه ويقول: إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها!

وأراد أن يغيظني مرة فكتب إلى أحد الـوزراء وكنـت أعمل مديراً لمكتبه:

وآليت لا تستشير الوكيـل فـإن الوكيـل لنـا يحتقـر

وإن عليــه لنــا «حلقــة» ونحن «لتسديدها» ننتظر
ومــا مــسّه الفقــر لكنــه بخيل «بخيل» طـوال العمر
وكيف يطيق الوزير الكريم بخــيلاً بمكتبــه يــستقر

ولـم يكـن صـادقاً فـي دعـواه، بـل أراد أن يـستندي الـوزير الأديـب، وكـان الـوزير عنـد ظنـه فأعطـاه خمـسة جنيهات، كاد يطير بها من الفرح، واضطرت أن أجيبه بهذه الأبيات:

ظلمـت الحـق كـل الحـق فيمــا قلــت يــا أســطى
حــسابك قــد ظفــرت بــه وزدتــك فوقــه «بنطــا»
نظمــت الــشعر فانحطــا وقلـــت النثــر فانبطــا
ومثلـــــت التماثيـــــل فـــصار هزبرهـــا قطـــا
فيــا أخيــب مــن قَــصَّ ويــا أجهــل مــن قَطَّــا
ويــا أضــعف مــن شــال من القـدم ومـن حطَّـا...
لـسوف أثيـر فـي النـاس عليـك الحقـد والـسّخطا
أقــول الهجْــو فــي بنهــا فيردونـــه بنـــو طنطـــا
أنـــا العوضـــيُّ فـــاعرفني مـدير مخـازن «البوسـطا»

دخل السجن مرّة، وأغلق صالونه، ثم عاد إليه بعد شهر، وسألته أين كنت؟ قال في السجن، ولماذا سُجنت؟ قال: أردت أن أعرف داخل السجن، فافتعلت ما ساقني إليه افتعالاً...

كان حسن البطريق مثلاً لطائفة من شعراء عصره، من ذوي الحرف، عرفنا منهم «الشافعي علي» الخياط بالإسكندرية، و«عبده محمد درويش» الحلاق في تلا بمحافظة المنوفة، و«توفيق عوضي أباظة» الفلاح في كفر أباظة بمحافظة الشرقية، ذلك الذي كتب إلى أحد الوزراء يطلب منه أن يعين في وظيفة كتابية:

قل للوزير العبقري رسالة
مشبوبة كذكائه المتوقد......
الفأس قد أكلت يدي وأنا امرؤ
للطرس لا للفأس قد خلقت يدي!

وكلهم لم يدخل مدرسة ولا اختلف إلى معلم، وإنما عَلَّمَ نفسه بنفسه، وإن كان أخيرهم أكثر الجميع شهرة وأكثرهم إتقاناً لشعره وتجويداً في قصائده..

واشتدت العلّة بحسن البطريق، علّة الصدر التي يجلبها الفقر والبؤس فآوته إحدى المستشفيات نسياً منسياً في سرير من أسرّتها، وما زال يشتدّ به المرض حتى اختار جوار الله، ولم يجد أحد من ورثته ما يستطيع أن ينشر به الخبر في الصحف، فكتب على ورقة ألصقها على باب «صالون الحرية» المغلق: «توفي إلى رحمة الله الحاج حسن البطريق صاحب هذا الصالون»، وشيّعت جنازته ودفن، والبقاء لله...

* * *



الشاعر أحمد الزين
في صورة نادرة جداً!
المصدر: مجلة الاثنين والدّنيا
العدد ٥٥٠، ١٩٤٤/١٢/٢٥

١٥) أحمـد الـزيـن[(١)]

عرفت الشيخ أحمد الزين - رحمه الله - في «بعكوكة» دار الكتب بالقاهرة في غضون سنة ١٩٣٠، وكان يجلس في هذه البعكوكة، الحاج[(٢)] محمد الهراوي صاحب «سمير الأطفال» والشاعر المعروف، وأحمد رامي شاعر الغناء

---

(١) وُلِدَ عام ١٩٠٠ وتوفي عام ١٩٤٧.

- طبع ديوانه الواقع في قرابة الـ ٢٠٠ صفحة من قِبَل لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢.
- ممن كتب عنه كتاباً مستقلاً: الدكتور/ حسن عبدالسلام في كتابه [أحمد الزين الشاعر الناقد]، (٣٧٢ صفحة)، طبع في مصر عام ١٤٠٣هـ.

(٢) الحاج محمد الهراوي (١٣٠٢ - ١٣٥٨هـ/ ١٨٨٥ - ١٩٣٩) أديب وشاعر، مصري مَرح! له عدد من المؤلفات (مع الاختصار والتصرّف من مصادر الدراسة الأدبية).

الأشهر، وأحمد[1] نسيم من شعراء ذلك العهد وغيرهم كعبدالله حبيب صاحب مجموعة قصص المغفل...

أما هذه البعكوكة فكانت مخزناً من مخازن الخشب والعهدة القديمة بدار الكُتُب، أخلوا منه جانباً وصفوا فيه الكراسي، واتخذوا منه مقهى ومجلساً ونديًاً..

في هذه البعكوكة كان يجلس حافظ إبراهيم أحياناً، لكنني لم ألقه فيها، وإنما سمعت ذلك، وكان يجلس الشيخ الأصمعي، عبد الجواد، والأستاذ/ أحمد لطفي السيد الصغير وهو غير أحمد لطفي السيد باشا معلّم الجيل وصاحب جريدة «الجريدة» والوزير والسياسي المعروف، ومع هؤلاء رأينا شعراء وأدباء كثيرين لا تحصيهم الذاكرة الآن..

وكان الشيخ أحمد الزين أحد رواة الشعر في عصره،

(١) أحمد نسيم (١٢٩٥ – ١٣٥٦هـ / ١٨٧٨ – ١٩٣٨)، من شعراء مصر المعدودين، له ديوان شعر..... (مصادر الدراسة الأدبية مع الاختصار).

وممن يوثق بهم في صحة الرواية وسلامة التحقيق، وكان يستحوذ على الجالسين بما يرويه من طرائف الشعر في شتى فنونه وأغراضه، ولشتى الشعراء في شتى العصور..

ولذلك لم يكن عجيباً أن تسند إليه مجلة «الرسالة» ومن بعدها «الثقافة» تحرير باب «من طرائف الشعر» فيها وكذلك باب «النقد والمثال»..

وكان الزين كفيف البصر، عرفت من بعض أهله وذويه أنه كف في الثالثة من عمره، أو هو قد كفّ بعد ولادته بأيام في رواية أخرى، المهم أنه حرم نعمة البصر قبل أن يعي الدنيا.

ويسمعه المرء فيخيل إليه أنه ديوان شعر العرب كله، لا يترك منه شاردة ولا واردة، فأي شاعر تسأله عنه حاضر في ذهنه وله شعر يرويه، ويبرز أحسن ما فيه، وأي عصر تسأله عنه واضح المعالم في عقله بشعرائه وأدبائه وكتابه ومنشئيه، وتلك حافظة قوية جداً تجعلنا نصدق ما روي عنه من أنه حفظ القرآن في قريته «ميت نابت» من أعمال

مركز السنطة بمحافظة الغربية في أقل من تسعة أشهر وهو دون الثامنة من عمره... حفظ القرآن على سيدة من أهل القرية وقرأ عليها وعلى غيرها أحكام التجويد ليغادر القرية بعد ذلك إلى الأزهر يستزيد من العلم ويملأ قلبه بأنوار المعرفة...

وفي العشرين من عمره – وهو بعد طالب في الأزهر الشريف – نشر ديواناً من الشعر سماه «القطوف الدانية» (سنة ١٩١٧) ملأه بالمدح والتهاني والغزل والعتاب، ثم بتخميس لمعلقة امرئ القيس التي أولها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وفي السنة التالية نشر ديواناً آخر لعله أرقى من سابقه من ناحية الفن الشعري سمّاه «الأراجيز الأخلاقية» قدمه إلى الناس العلامة الأستاذ/ محمد فريد وجدي فبالغ على طريقة العصر كله، وقال للشاعر الشاب الناشئ – ابن العشرين – أنك عبقري..

وكان الزين – رحمه الله – لا يعتد بهذه المقدمة اعتداده بأبيات قالها في تقريظه شيخ الشعراء إسماعيل صبري باشا وأولها:

إذا كنت يا زين زين الأدب

فإن كتابك زين الكتب

واذكر أنه رواها لي مرة فأحببت أن أداعبه فقلت له: إن الباشا – رحمه الله – لا يقرر أن كتابك هو زين الكتب إلَّا إذا كنت أنت زين الأدب، فإذا لم تكن أنت زين الأدب، فإن كتابك لا يكون زين الكتب.... وكونك أنت زين الأدب مسألة يجوز أن يقول بها أقوام ويجوز أن يقول بغيرها آخرون، ثم عقبت على ذلك بقولي: إنه خبث ولا شك من إسماعيل صبري، فهو قد وقف في عدوة الطريق فلم ينف شيئاً ولم يثبت شيئاً... فثار الزين – رحمه الله – .. وقال: إن الأدب لا يمكن أن يتناول بمثل هذا «التفعيص» وإنما هو شيء نعرف جودته بالذوق السليم..

كان دقيق التحري في اللغة، روى له المرحوم إبراهيم دسوقي أباظة باشا أن بعض الناس تناقش مع الزين ذات يوم في مجلسه حول صحة كلمة «صبايا»، فقال الزين بصحتها، وقال آخرون بخطئها، وسافر الباشا إلى القرية في اليوم التالي، فما هو إلَّا أن وردت إليه البرقية الآتية من القاهرة:

«صبايا صحيحة، التوقيع: أحمد الزين»

وكان عمله في دار الكُتُب التحقيق والتصحيح والمراجعة والشرح، وهو عمل يهبط أقوى الأقوياء، ولكنه كان ينهض به جلداً صابراً محتملاً، رغم أنه عين في دار الكُتُب في وظيفة «باليومية» بعد حصوله على شهادة العالمية من الأزهر الشريف سنة ١٩٢٤ ومات في وظيفته تلك، في الدرجة السادسة التي كان يعين فيها المتخرج الحديث في سنة ١٩٤٧ أي أنه – رحمه الله – انتهى من حيث يبدأ الناس!

لكنه كان دائم الشكوى من هذا الوضع الظالم، زرته

في أخريات أيامه مرة في دار الكتب، فقال لي: نحن هنا في «دير» الكتب ولسنا في دار الكتب ننقطع للكتب كالمنقطعين لعبادة الله في الأديرة، لا ينالون من متاع الدنيا شيئاً على أنه كان كثيراً ما يشكو جهل بعض الرؤساء، وغباوة بعض الزملاء، فيقول مثلاً:

علام يجيد الفن في مصر متقنٌ
إذا كان بالتهريج نيل المراتبِ

ويقول:

وتعالوا إلى الدواوين إن الحا
ل فيها يذري الدّموع السّخينه
كل شيء في جوها بين جهل
سائدٍ أو كفاية مغبونه
كم رئيس لولا القوانين تحمي
جهله كان طرده قانونه

وكـان يـرى حولـه أهـل (الملـقِ)[1] تتهـادى إلـيهم المراتب فيقول:

يــا لــسان الحــق لا تنطلــق
فــاز بــالخطوة[2] أهــل الملــق
علمونــا يــا أولــى الحظــوةَ مــا
قــد علمــت مــن طــلاء الخلــقِ
لــيس للــدائب حــظ بيــنكم
لا ولا الجهــد ســبيل المرتقــي
لا تقــل ســهدي وجهــدي عــدتي
إنمــا الجهــد عتــاد الأخــرق

وثمة قضية لا بُدّ من إثارتها هنا، للتاريخ، فقد كنت نظمت ديواناً سمّيته «رسوم وشخصيات» صورت بالشعر فيه معظم شعراء العصر وأدبائه كأنه «كاريكاتير» شعري، وكتب العقّاد مقدمة لهذا الديوان قال فيها:

(١) غالباً وليس (الحق) كما ذُكر! (ربما خطأ طباعي).
(٢) وردت (الخطوة).

«وأرى أنك قد أبدعت في الشعر العربي فناً من النقد الشعري أو من الشعر الناقد لم يسبقك إليه أحد في لغتنا...»، وطُبِعَ هذا الديوان ونشر في أوائل سنة ١٩٦٠، وإن كان قد نظّم قبل ذلك وألقى في بعض الحفلات في الأربعينات من هذا القرن. وهذا بعض ما دعا العقّاد أن يصفه بالسبق، لكن الأستاذ/ كامل الشناوي نشر في الجمهورية أن أحمد الزين سبقني إلى هذا، وأن ديوانه أشعاراً يتحدّث فيها عن شعراء عصره ودعاني ذلك إلى أن أبحث عن هذا الديوان[1] حتى عثرت عليه أخيراً، فوجدت أحمد الزين قد تحدّث فعلاً عن شعراء عصره وبالتحديد تحدّث عن أحمد شوقي، وأحمد الكاشف، وأحمد محرّم، وأحمد نسيم، وإسماعيل صبري، وحافظ إبراهيم، وحفني ناصف، وحسن القاياتي، وحسين شفيق المصري، وخليل مطران، وعبدالحليم المصري، والشيخ محمد

(١) طبع الديوان في عام ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢ في مصر.

عبدالمطلب، وعبدالمحسن الكاظمي، وعثمان زناتي، وعلي الجارم، وعباس العقّاد، وعبدالرحمن شكري، والمازني، والرافعي، ومحمد الزين، ومحمد الهراوي، ومحمد عثمان نيازي، ومهدي خليل، ومحمود رمزي نظيم، ومحمود عماد، تحدّث عن هؤلاء جميعاً في قصيدة واحدة على وزن واحد وروي واحد، بلغت تسعة وستين بيتاً، وجعل لها مقدمة على البحر نفسه والروي نفسه في عشرين بيتاً، وبدأ المقدمة بالغزل جرياً على عادة قدامى الشعراء بقوله:

تذكر لو يجدي عليه التذكُّرُ

وارم اصطباراً حين عز التصبُّرُ

ولست هنا في مجال موازنة بين الجهدين الفنيين، وإنما أنا أضع أمام التاريخ المسألة بكل تفاصيلها معترفاً أنني لم أسمع من الزين ولا من غيره ما قاله في هذا المجال، ولم أقرأ ديوان الزين حتى لفتني إليه كامل الشناوي – رحمه الله –...

ومع هذا فليس ما يمنع من أن توجه الرأي إلى بعض ما ذكره الزين في قصيدته، فقد فضل حفني ناصف على مطران والعقّاد وشكري والمازني مثلاً، ومال إلى تفضيل شعراء اللفظ على شعراء المعنى، ففضل محمود رمزي نظيم على محمود عماد..

ثم يجيء شاعر ثالث فيطبع في أواسط الستينات من هذا القرن ديواناً صغيراً في بضع وعشرين أو ثلاثين صفحة، ويخصص جزءًا منه للحديث عن الشعراء، ويشير في صدر هذا الجزء إلى أن غيره سبق بنشر الفكرة وطبعها وإن كان هو صاحبها ومبتكرها هذا الشاعر هو الأستاذ/أحمد أحمد الجمي، وما نريد أن نعلّق على ما قال، لأننا هنا نعرض وقائع ولا نستعرض أدلة أو براهين أو موازنات، وللتاريخ وحده أن يقرر من هو الذي سبق بالفكرة. ومن هو أحق الثلاثة بنسبتها إليه...

ونعود إلى أحمد الزين، فنقول: إنه كان مرهف النفس لسماع الموسيقى، وله قصيدة جميلة عنوانها «بنان على بيان» يريد بيانو يقول فيها:

مـــرت عليـــه مثلمـــا مرت على القلـب الأمـاني
وافــتن فــي ســحر النّهــى شــدو الأنامــل واللِّــسانِ
رنّـــاتُ ســـاحرةِ الغنـــا ءِ تجيـب رنَّـات المثـاني
بثَّــت إلــى الأوتـــار مــن حــر الـصَّبابة مـا تعـاني
كـــم أودعــــت ألحانهـــا في الشوق من سر المعاني
فــــتحس أوتـــار البيـــا ن وقلبهـــا يتـــشاكيانِ
لـم يعـرف الحـبّ المبـرّ حِ مثـل أفئـدة الغـواني
لاقـــت أناملهـــا البيـــا ن كمـا تلاقــي عاشــقانِ
يتـــضاحكان مـــن الـــسّر ور وفـي الأسـى يتباكيـانِ
فــي نغمــة أحســست مــن طـربٍ بهـا طـربَ المكـانِ

وله قصيدة في وصف «العود» يقول في مستهلها:

لامست في النفس أوتار هواها غادة بالسحر تغزو من غزاها
كلمـا مـسَّت يـداها وتـراً حسد الآخـر مـا مست يـداها

وله وصف لمغن مشهور يتناوح كثيراً، يقول فيه:

نفَّرْتَ طيف السرور مني بحرمة[1] الفن لا تغنِ
رخاوة في الغناء كادت تذهب عزم الرجال مني
أردت بين الغناء مزجاً فجاء خلطاً بغير فنٍّ
ما بين شرقٍ وبين غربٍ حيَّرت في حالتيك ظني
في كل معنى تنوح قل لي أنادب أنت أم مغنٍّ
تبكي إذا ما الحبيب وافىٰ ما أشبه الوصل بالتجنّي
تبلّد الحسّ منك حتّى يئست في موضع التمنّي
تُعْذَرُ في النَّوْحِ إِذ تُعزِّي قل لي فما العذُر إذ تُهنّي
أقسم لم أهجه ولكن يقول لي الحق: لا تخنّي؟

وسمع مغنياً عالي الصوت دون رخامة فقال فيه:

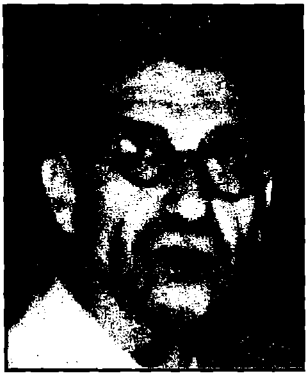
حمار لا يملُّ من النهيقِ يضيق به التجلُّد أي ضيقِ
مغنٍ يجلب السَّلوى ويفني بقايا الشوق في قلب المشوقِ
بطانته حماك الله رهطٌ كأنَّ صياحهم جرس الحريقِ

(١) لا يجوز القسم بغير اللهَ تعالىٰ.

دعاني للسّماعِ رفيق سوءٍ فقلت عرفت عذري يا رفيقي
وكانت ليلةٌ يا ليت أني دفعتُ بها لقطّاعِ الطَّريقِ
وأوسعنا مغنيها غناءً يزيل السّكر من كأس الرّحيقِ
جزى الله المغنّي كل خير «وعرفت به عدوي من صديقي»

وسمعنا في بعض الأندية أن سبب هجائه للمغني الأول - الذي يمزج الشرق بالغرب سببه أن أحمد الزين تقدَّم إليه بقصيدة ليلحنها ويغنيها فلم يهتم به، والله أعلم...

* * *



عزيز ميرزا
المصدر: الشَّابكة
(شبكة الإنترنت)

١٦) عزيز ميرزا[١]

ما أظن أنني مستطيع أن أوفي هذا الرجل حقه من التقدير ببضع صفحات أكتبها في كتاب، وأظن أنني عرفت من جوانب نفسه وعقله ما لم يتح لكثير أن يعرفوه رأيته أول مرة في دار الأهرام، حوالي سنة ١٩٥٠، وامتد بيننا حبل المودة حتى قبضه الله إليه في الأيام الأخيرة من سنة ١٩٦٩..

وحين ذهبنا نحضر الصلاة على جثمانه في كنيسة الموارنة بمصر الجديدة، تلفّتُّ حولي فلم أجد من روّاد ندوته في صحيفة «الأهرام» أيام كان رئيساً لتحريرها في أزهى عصورها إلّا رجلين اثنين هما اللواء حافظ

(١) له ترجمة موسّعة، وفيها توفي بتاريخ ١٩٦٩/١٢/٢١ في (موقع الأهرام الرقمي) على الشابكة (الإنترنت).

أبو الشهود الذي كانت تفيض عيونه بالدموع الحرار حزناً على صديقه الكبير الراحل، والأستاذ/نجيب كنعان الذي كان يعمل مديراً لتحرير «الأهرام» حتى أحيل إلى المعاش منذ أواخر سنة ١٩٦٨. وعجبت إن لم أجد من الصحافيين أحداً، ولا من الأدباء روّاد الندوة أحداً ثم صدرت الصحف التي كان يرأس تحريرها في اليوم التالي لوفاته، فقرأنا نعياً مما ينشره للناس لموتاهم، ونعياً – في سطور قليلة – لنقابة الصحافيين التي كان الفقيد عضواً فيها..

قلت: إنني عرفت الأستاذ/عزيز ميرزا حوالي سنة ١٩٥٠، وكان السبب أنني ذهبت إلى «الأهرام» ومعي أبيات كنت أرجو لها النشر في اليوم التالي لأسباب ترتبط بموضوعها أو لأسباب شخصية أخرى، لكنني حين لقيت صديقي نجيب كنعان فهمت منه أن الأبيات لا محل لها في صحيفة الغد، وأن الأمر منوط بالأستاذ/ عزيز ميرزا، وكان عليَّ أن أذهب إليه إذا أردت غير ذلك،

فذهبت إليه، وقدَّمني إليه نجيب كنعان فنهض الرجل من مقعده واحتفى بضيفه الجديد حفاوة تنم عن أدب ولطف معشر، وتدل على طيبة وكرم خلق، وقرأت عليه الأبيات، فإذا هو حسن الإصغاء، ثم هو حسن التوجيه والنقد، والالتفات إلى مواطن الحسن، ومواطن العيب من الكلام، ثم هو بعد ذلك حافظ راوية للشعر قديمه وحديثه، بصير بعيونه وجواهره، قادر على استحضار نظائر المعاني في الشرق والغرب. واعتذر الرجل بلطف عن عدم إمكان نشر الأبيات في اليوم التالي ووعد أن تنشر عمّا قليل. وودعته وانصرفت على رجاء منه بزيارة كلما وجدت وقتاً لدي..

لقد ترك الرجل في نفسي أثراً عميقاً منذ الجلسة الأولى، فخرجت من لدنه وأنا أفكر في هذه الشخصية العظيمة الممتلئة بالعلم والأدب والفن والخلق، وأحاول تنظيم أوقاتي لزيارته زيارات كثيرة متّصلة لأستفيد بمجالسته ومحادثته والاستماع إليه، فلقد كان يفيد المرء من استماعه وإصغائه كما يفيد من حديثه ومناقشته..

ولقد كان صوته خفيضاً هيّناً ليّناً، فيه عذوبة وجرس، فهو صوت ذو رقّة وحياء إن صح هذا التعبير. ولذلك فإننا كنا نحب أن يتحدّث كثيراً وأن يستمع قليلاً، لكنه كان - لحسن أدبه - يصرّ على أن يستمع كثيراً ويتحدّث قليلاً.

وحدث أن أصابتني وعكة يوماً، فما هو إلَّا أن جاء إليَّ يعودني، وما هو إلَّا أن أَنَسَ به ولداي الطبيب ممدوح الوكيل والمهندس شريف الوكيل، لأنه تكلَّم مع كل منهما فيما يحب وفيما يحسن، واطلعا منه على موسوعة من موسوعات العلم الحديث والقديم، وصار صديقاً لهما حتى إنه عندما زار ألمانيا الغربية في سنة ١٩٦٣ فرض على نفسه زيارة المهندس شريف، وكان يومذاك يتدرب في مصانع شركة مرسيدس بنز الشهيرة في شتوتغارت[١]..

(١) هي كما وردت في الشابكة: عاصمة ولاية بادن فورتمبرغ في ألمانيا.

وقد كنت في أوائل الخمسينات أعمل مديراً لإحدى الإدارات بالبريد، وكانت «الأهرام» تنشر كثيراً من مقالاتي وقصائدي، وحدث أن وقعت بيني وبين المدير العام للمصلحة وقائع، ورأى المدير العام أن بعض ما أنشره من مقالاتي في الإصلاح الإداري للجهاز الحكومي، قد يفسّر بأنه نقد لمصلحة البريد، فذهب إلى «الأهرام» وقابل رئيس التحرير الثاني، الذي وعده بأن تمتنع «الأهرام» عن نشر مقالاتي.

وذهبت بعد أيام إلى عزيز ميرزا بمقال من هذه المقالات، عنوانه «اتجاه الرياح» أنحى فيه باللائمة على النفاق والمنافقين في دواوين الحكومة وأحمله وأحملهم مسؤولية انهيار الإدارة الحكومية، ورآه رئيس التحرير الثاني فأراد أن يمنع نشره براً بوعده لمدير المصلحة العام، لكن عزيز ميرزا وقف له، وأخذ يفهمه قيمة المقال وأهميته، ويشرح له أهمية الكتابة في إصلاح الإدارة الحكومية والرجل مصرّ على رأيه لا يتحوّل عنه، حينذاك

لم يجد عزيز ميرزا بُدّاً من أن يقول: إما أن ينشر هذا المقال وإما أن أتخلى عن الشركة في رئاسة تحرير «الأهرام» ونشر المقال بتمامه، وأحدث من الضّجَّة ما كان خليقاً به أن يحدث، وتهلّل وجه الرجل الكريم بالانتصار، وجاء يهنئني على المقال ويقول: لم ينشر المقال مجاملة لك، ولكنه نشر مجاملة للمصلحة العامة التي تقضي أن ينشر النقد العام، وأن يشجع الناس على كتابته، لأن بداية التخلّف الاجتماعي والسياسي أن يمنع النقد وأن يحال دون نشره، وهي جريمة لا يمكن أن أفعلها أو أن أشترك في فعلها..

كثير من الناس يعتقدون أن عزيز ميرزا كان يتقن الفرنسية وحدها إلى جانب إتقانه للغة العربية، ذلك لأنهم لا يعلمون أنه كثيراً ما دعي لإلقاء محاضرات عن الاقتصاد المعاصر في ألمانيا باللغة الألمانية وفي إيطاليا بالإيطالية..

ترى هل يعلم كثيراً من الناس أن عزيز ميرزا في الخمسينات وبعض الستينات كان يترجم البيان المالي والاقتصادي للجمهورية العربية المتحدة إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

فلا يجيء بيانه فيهما أقل من مستواه في لغة العرب؟

دعاني لمعاونته في تحرير صحيفة «وطني»، وكان يكتب معظم ما تنشر في الأدب والسياسة والاقتصاد والفنون، وحدث أن استعانت الصحيفة بمترجم يترجم لها بعض طرائف المقالات الموسيقية، ويعرض على رئيس التحرير الأصل والترجمة، فيدعوني إليه ويعطيني ورقة وقلماً ويأمرني فأكتب ترجمة جديدة للمقال، يملي فقرة فقرة وأنا أكتب، ويجيء الفرق بين الترجمتين كالفرق بين اللغة العربية الفصحى وبعض اللغات الصينية القديمة! ويعلل الرجل الأمل بأن المترجم لا يعرف الموسيقى واصطلاحاتها، وحينئذ أسأله وأنت؟فيقول: لقد درست نظريات الموسيقى دراسة

مستفيضة لا أستطيع أن أستمتع بروائع الموسيقيين الغربيين ولا أستطيع أن أترجم مثل هذا المقال ثم يضحك!

كان يهزأ بالمال وجامعية والساعين إليه، والباذلين كرامتهم في سبيله، فلقد كان يسافر إلى الخارج ومعه «بدل استقبال» لا يحاسب عليه فيعود الرجل ويعيد البدل أو معظمه إلى خزانة «الأهرام» رافضاً أن تدخل في ذمته مالاً حراماً. وحين خرج من الأهرام لم يعط ما يعطاه غيره من المكافأة أو المعاش، بل نقصوهما نقصاً فاحشاً شكا لي منه عدة مرّات، ونصحه بعضهم أن يلجأ إلى القضاء، لكنه رفض أن يفعل وقال: لا أستطيع أن أقاضي صحيفة كنت رئيس تحريرها يوماً، أنا لا أستطيع أن أهين ذكرياتي في الأهرام بمثل هذا العمل!

واضطر إزاء ظروفه المالية أن يعمل في مكتب صغير بالهيئة الأفروآسيوية ليواجه نفقات حياته، وكانت والله قليلة لأنه كان والله زاهداً.

لقد كنت دائماً أتصور عزيز ميرزا راهباً، وهب حياته كلها للصحافة والأدب والعلم ولم يعنه أن يجمع في حياته شيئاً غيرها، اللَّهُمَّ إلّا الوفاء والمودّة والصداقة، وأنه بها لغني جدٌّ غني..

* * *

قائمة المصادر

- أحمد حسن الزيات، كاتباً وناقداً، د. نعمة العزاوي، الهيئة المصرية بالاشتراك، ١٩٨٦.

- ديوان آية وفاء، إلى راعي الأدب والأدباء الشيخ محمد سرور الصبَّان، محمد مصطفى حمام، ط. مصر، د. ت.

- ديوان عبدالحميد الديب، شاعر البؤس، تحقيق ودراسة محمد رضوان، المجلس الأعلىٰ للثقافة، ص ٣٢٨، عام ٢٠٠٠.

- ذيل الأعلام، أحمد العلاونة، الجزء الأول، ص ١٤٧ ، دار المنارة، جدة، السعودية.

- قاموس الأدب العربي الحديث، إعداد. د. حمدي السكوت، ص ٣٩٤ – ٣٩٥، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٧.

- مصادر الدراسة الأدبية، يوسف أسعد داغر، ص١٤٨٥- ١٤٨٦، مكتبة لبنان ناشرون، عام ٢٠٠٠.

- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط. الكويت.

- معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، كامل سلمان الجبوري، المجلد الرابع، ص ١٠٨، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢، لبنان.

السيرة الذاتية

- فهد بن محمد بن نايف الدَّبّوس.
- عضو رابطة الأدباء – دولة الكويت.
- مؤسس ومدير مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدّبّوس – للتراث الأدبي – الكويت.
- له عدد من المشاركات الأدبية في الصحف والمجلات المحلية والعربية والإذاعة والتلفاز.
- صدر له:

١- الأديب «عبدالله العلي الصانع».

٢- الرحالة العرب وانطباعاتهم عن المعارض الدولية [١٨٥٠ – ١٩٩٠] (لندن – باريس – فيلادلفيا – شيكاغو – أستراليا – جنيف).

٣- وعاء الحِكَمْ.

٤- الأخبار الشافية الجلية عمّن قام من العرب بالتدريس في أوروبا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية (١٥١٩ – ١٩٥٠).

٥- حسن حسني باشا الطويراني.

٦- الشيخ علي الليثي، شاعر الخديوي إسماعيل والخديوي توفيق.

٧- شعراء من الأمس القريب.

٨- الدروس المستفادة في قهر العادة.

٩- رحلة الشيخ علي الليثي ببلاد النَّمسا وألمانيا (١٨٧٥).

١٠- سياحة في الرُّوسيا (في بدية القرن العشرين)، محمود بك رشاد، ط. ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢.

- له عدة دواوين شعرية (مخطوطة)، (شعر عربي فصيح عمودي).
- له عدد من المؤلفات المخطوطة منها:

- تغريد العصفور (عدة أجزاء – مقتطفات نثرية وشعرية وأخوانيات وخواطر).
- خواطر مدفونة (عدة أجزاء).
- له عدد من المؤلفات الأخرى قيد الإعداد.

- للمراسلة: الكويت – حولي – ص. ب: ٦٠٠٥ حولي

E-mail: fahad_aldabbos@hotmail.com

منشورات مكتبة ومركز
فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي ـ الكويت[1]

١ ـ **«حسن حسني باشا الطويراني، أديب موسوعي من القرن التاسع عشر»**، تأليف وإعداد: فهد محمد نايف الدبوس.

٢ ـ **«الشيخ علي الليثي، شاعر الخديوي إسماعيل والخديوي توفيق»**، إعداد: فهد محمد نايف الدبوس.

٣ ـ **«شعراء من الأمس القريب (الكويت ـ لبنان ـ ليبيا ـ مصر)»**، إعداد: فهد محمد نايف الدبوس.

٤ ـ **«في الكتاب وأحواله»**، تأليف: أحمد العلاونة، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٥ ـ **«العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم مع الوثائق»**، تأليف: أحمد العلاونة، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٦ ـ **«نثر الأزهار، فيما وجد مكتوباً على القبور من الحكم والأشعار»**، تأليف: عبد الرحمٰن يوسف الفرحان، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٧ ـ **«ذهبية العصر»**، تأليف: شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، تحقيق: إبراهيم صالح، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

---

(١) من العدد (١) إلى (٣) يطلب من المركز في الكويت لمن يريد ذلك.
ومن العدد (٤) فما بعده، يطلب من دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

٨ ـ «**المجمع المفنن بالمعجم المعنون**»، تأليف: العلَّامة الشيخ عبد الباسط الملطي، بتحقيق: عبد الله محمد الكندري، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٩ ـ «**من مقالات وديع فلسطين في الأدب والتراجم**»، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١٠ ـ «**رُوَّاد ومُعاصرون**»، تأليف: أحمد حسين الطماوي، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١١ ـ «**حيل الكرام، (شرح حديث مضيف ضيف رسول الله ﷺ، مع تفسير الآية التي نزلت فيها: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ...﴾، وما ورد في ذلك من حكم وأخبار وأشعار)**»، أعدَّه: عبد الرحمٰن يوسف الفرحان، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١٢ ـ «**فراش النار، (شرح الحديث الشريف: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً...»، وما ورد من تمثُّل العرب به في أمثالها وأشعارها)**»، أعدَّه: عبد الرحمٰن يوسف الفرحان، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١٣ ـ «**توشيح كتاب «الأعلام» للزركلي**»، تأليف: الأستاذ أحمد العلاونة، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١٤ ـ «**كتاب التشبيبات والطلب**»، تأليف: أبي منصور محمد بن سهل ابن المرزبان الكرخي، تحقيق: عمر بن بشير أحمد صديقي، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١٥ ـ «**الشرق والغرب**»، إبراهيم المويلحي، تحرير وتقديم: أحمد حسن الطماوي، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٦ ـ «**عرفت هؤلاء**»، العوضي الوكيل، اعتنى به: فهد بن محمد بن الدبوس، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٧ ـ «**المختارات الفائقة من الأشعار الرائقة**»، تأليف: أبي محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع العدواني، تحقيق: أحمد بن عبد العزيز الربعي، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٨ ـ «**رسائلهم إليَّ**»، الأستاذ أحمد العلاونة، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

سلسلة نوادر الرحلات

١ ـ «**رحلة الشيخ علي الليثي ببلاد النمسا وألمانيا**»، تأليف: علي بن حسن الليثي، اعتنى بها: فهد بن محمد بن نايف الدبوس، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٢ ـ «**سِيَاحةٌ في الرُّوسِيا (في بِدايَةِ القَرن العشرين)**»، بقلم: رشاد بك (رئيس محكمة مصر سابقاً)، اعتنى بها: فهد بن محمد بن نايف الدبوس، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

٣ ـ «**الرحلة الدمشقية الأولى (راحة المستهام في رحلة الشام)**»، للعلَّامة المؤرّخ أبي المحاسن عثمان بن مصطفى الطباع الدمشقي الغزِّي، بتحقيق وتعليق: سليم عرفات المبيض، ومحمد خالد كلَّاب، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

إصدارات أخرى أصدرها المركز

١ ـ «**دراسات أندلسية**»، فاضل خلف، ط. ٢٠١٢م.

٢ ـ «**رحلة أبي الحسن الهروي (الإشَارَاتُ إِلَى مَعْرِفَةِ الزِّيَارَاتِ)**»، (٦١١هـ ـ ١٢١٥م)، تحقيق: د. نوّاف الجحمة، ط. ٢٠١٢م.

٣ ـ «**شخصيات من تاريخ الكويت**»، طلال الرميضي، ط. ٢٠١٢م.

٤ ـ «**من العامية الفَصيحة في اللهجة الكويتية**»، خالد سالم محمد، ط. ٢٠١٢م.

٥ ـ «**محمد روحي الخالدي (١٨٦٤ ـ ١٩١٣م)، ونظرته للإصلاحات العثمانية**»، طلال الجويعد، ط. ٢٠١٢م.

المحتويات



امل كيلاني د. ابراهيم ناجي د. زكي مبارك خليل مطران د. محمد حسين هيكل
بد الحميد الديب محمد مصفى حمام كامل الشناوي محمود بيرم التونسي
امل كيلاني د. ابراهيم ناجي د. زكي مبارك خليل مطران د. محمد حسين هيكل
بد الحميد الديب محمد مصفى حمام كامل الشناوي محمود بيرم التونسي
امل كيلاني د. ابراهيم ناجي د. زكي مبارك خليل مطران د. محمد حسين هيكل
بد الحميد الديب محمد مصفى حمام كامل الشناوي محمود بيرم التونسي
امل كيلاني د. ابراهيم ناجي د. زكي مبارك خليل مطران د. محمد حسين هيكل
بد الحميد الديب محمد مصفى حمام كامل الشناوي محمود بيرم التونسي
امل كيلاني د. ابراهيم ناجي د. زكي مبارك خليل مطران د. محمد حسين هيكل
بد الحميد الديب محمد مصفى حمام كامل الشناوي محمود بيرم التونسي
امل كيلاني د. ابراهيم ناجي د. زكي مبارك خليل مطران د. محمد حسين هيكل
بد الحميد الديب محمد مصفى حمام كامل الشناوي محمود بيرم التونسي
امل كيلاني د. ابراهيم ناجي د. زكي مبارك خليل مطران د. محمد حسين هيكل
بد الحميد الديب محمد مصفى حمام كامل الشناوي محمود بيرم التونسي
امل كيلاني د. ابراهيم ناجي د. زكي مبارك خليل مطران د. محمد حسين هيكل
بد الحميد الديب محمد مصفى حمام كامل الشناوي محمود بيرم التونسي
امل كيلاني د. ابراهيم ناجي د. زكي مبارك خليل مطران د. محمد حسين هيكل
بد الحميد الديب محمد مصفى حمام كامل الشناوي محمود بيرم التونسي